الرد القرآني

علي كتيب

«هل يمكن الاعتقاد بالقران»

بقــلم

الأستاذ عبد الله كنون

١٤٠١هـ - ١٩٨١م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخاطب بقوله عزوجل « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون » وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :ـ

فان أعظم ماتطمئن اليه القلوب ، وتتهذب به النفوس وتقشعر منه الجلود ، وتهوى اليه الافئدة كلام الله عز وجل ، والقرآن الكريم كلام الله المهيمن على الكتب المنزلة قبله قال تعالى « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه »(١) قال ابن عباس رضى الله عنهما المهيمن الامين ، القرآن أمين على كل كتاب قبله .(٢) .

ومتى جعل الإنسان القرآن العظيم منهاجه فانه يزكو به ويسود ، لأن به يعرف قدر العقل قال تعالى : « كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوالالباب » (٣) وقال عزوجل : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر »(٤) .

ولان به يعرف قدر العلم قال تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »(٥) ولهذا قصر الخشية على أهل العلم في قوله تعالى : «إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ »(٦) وقال (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات) . ولان به يخرج الإنسان من الظلمات إلى النور قال تعالى : «كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد »(٧) .

---

(١) سورة المائده الآية ٤٨ .
(٢) رواه البخارى في كتاب فضائل القرآن « كين نزول الوحى » .
(٣) سورة ص الآية ٢٩ .
(٤) سورة القمر الآية ١٧ .
(٥) سورة الزمر الآية ٩ .
(٦) سورة فاطر الآية ٢٨ .
(٧) سورة إبراهيم الآية ١ .

ولان به يعرف مكارم الاخلاق وافعال البر قال تعالى : « وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا . . الخ(١) . وقال تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . .» الخ(٢) . . .
ولان به يعرف عجائب الكون قال تعــالى : « وفي الأرض آيات للمــوقنين وفي انفسكم أفلا تبصرون ، وفي السماء رزقكم وما توعدون »(٣) .

كما بين القرآن الكريم كرامة الإنسان ومنزلة كل نوع جنس منه فمنحه المكانه التي يستحقها فاعطى الرجل مايليق به كما أعطى المرأهما تستحقه من كرامة وتقدير فقال عزوجل : « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذكرين الله كثيراً والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجراً عظيما »(٤) وقال تعالى : « ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنه يرزقون فيها بغير حساب »(٥) .

كما جمع القرآن الكريم بين مطالب الروح وحاجات الجسم فقال جل شأنه : « وابتغ فيما آتاك الله الدار ألآخره ولاتنس نصيبك من الدنيا »(٦) .

اما ماجاء في بلاغة القرآن وتحديه لفصحاء العرب فقد قال تعالى : « فليأ توا بحديث مثله ان كانوا صادقين »(٧) وقد ذكر الامام ابن كثير في تفسيره: « ان الوليد بن المغيرة — بعد ما سمع قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن — قال مخاطبا لقومه : « فوالله ما منكم رجل اعلم بالاشعار مني ولا اعلم برجزه والله ان لقوله لحلاوه وانه يحطم ما تحته وانه ليعلو وما يعلى »(٨) .

---

(١) سورة الاسراء الآيات من ٢٣ – ٣٨ .
(٢) سورة الفرقان الآيات من ٦٣ – ٧٥ .
(٣) سورة الزاريات الآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .
(٤) سورة الاحزاف الآية ٣٥ .
(٥) سورة غافر الآية ٤٠ .
(٦) سورة القصص الآية ٧٧ .
(٧) سورة الطور الآية ٣٤ .
(٨) تفسير ابن كثير د/ ١٥٨ .

فهذه نبذه يسيرة من فضائل القرآن وخصائصه ، ولو عمل به الإنسان وسار على منهجه مع السنه المطهرة لكان على هدى من الله وبصيره وعلى الشريعة العالميه الخالده إلى قيام الساعة .

ولكن المحادين لدين الله المعرضين عنه الذين تسلطت عليهم الاهواء واستعبدتهم الشهوات ، وقالوا في الله وآياته ورسله بغير علم فليس الله بغافل عما يفعلونه وسيجازيهم على افعالهم قال تعالى : « وما كان الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص منه الابصار »(١) .

أما ما افتروه على كتاب لله عزوجل من شبهات واضاليل فقد قيض الله سبحانه وتعالى لذلك رجالا فطنا عرفوا ما قصده الاعداء من ذلك وعرفوا حقائق الاسلام ومفاهيمه حتى استطاعوا تفطنتهم ان يدحضوا شبهات المضللين واباطيل الملحدين وان يردوها في نحورهم وما ذلك على الله بعزيز ، فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه وبقائه إلى قيام الساعه قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »(٢)

وان من اولئك العلماء فضيلة الشيخ عبد الله كنون عضو المجلس التاسيسى لرابطة العالم الإسلامى الذى قام جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء بكتابة رد عما افتراه بعض المستشرقين على القرآن فند منه اباطيل وضلالهم ، وهو هذا الكتاب الذى بين أيدينا والذى أسماه « الرّد القرآني » .

وتشجيعا من الأمانه العامه للرابطة لهذا العمل الخير فقد قامت بطبع هذا الكتاب ونشره لتعم فائدته بين المسلمين في جميع الاقطار .

والله نسأل ان يكلل اعمالنا واعمال المسلمين بالنجاح والتوفيق . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الأمين العام

محمد على الحركان

---

(١) سورة الحجر الآية ٤٢ .

(٢) سورة الحجر الآية (٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الرد القرآني علي كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟

هذا عنوان كتيب من الحجم الصغير في ٧٠ صفحة لمؤلفه م . ر . رحماتوف كاتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعى في جمهورية طاجيكستان السوفياتية سابقا، والسفير الحالى للاتحاد السوفياتي بموريتانيا . وصلنى بالبريد من الكامرون في ظرف واحد مع نشرة تحمل اسم (بريد الاتحاد السوفياتي) ، تصدرها السفارة الروسية في الكامرون . وهما معا محرران باللغة الفرنسية ، الا ان النشرة باستثناء الغلاف مطبوعة بالآلة الكاتبة ، اما الكتيب فبحروف الطباعة العادية وهو من نشر وكالة نوفوستى للانباء بموسكو .

ذكرت اني توصلت ببيان اذاعته هذه الوكالة تتبرأ فيه من كتاب يطعن في الإسلام نشر باسمها ، كما توصلت بعد ذلك بتصريح لصديقنا الشيخ ضياء الدين بابا خانوف الداعية الإسلامى والمفتى بالاتحاد السوفياتي يحذر فيه من النشرات المعادية للإسلام التى تصدر من جهات مشبوهة وتنسب للسوفييت ، مؤكدا فيه ما يتمتع به المسلمون من حرية دينية تحت الحكم الشيوعى في الاتحاد السوفياتي ، ونافيا ان تكون تلك النشرات من كتب وغيرها ، من عمل المسؤولين في روسيا .

وبما ان هذا العمل قد تكرر مرارا ، وان هذه النشرات تحمل طابع النشرات الاخرى التى تصدر عن الاتحاد السوفياتي ، **فإن السكوت عنها يعتبرعجزا وضعفا وتسليما بما ورد فيها من الانتقاد والطعن والتجريح للإسلام.** وصدور البيانات باستنكار هذه النشرات غير كاف في ايقاف الحملة الشيوعية علي الإسلام ، **والذين تحدوني شخصيا بارسال كتيب (هل يمكن الاعتقاد بالقرآن)** إلى ، ان كانوا يظنون أني سألقى باليد وأغض الطرف عن عملهم الشنيع ، فقد وهموا . وما مهمتى اذن ، ان كان كتاب الإسلام الأول ودستوره الخالد يجرح

بهذه الكيفية المشوهة ، ويعرض على هذا التجريح ، وانا ساكت لا اقول كلمة ترد هجوم الخصوم، وتبين تفاهة اقوالهم ، حتى لايغتر بها من يطلع عليها، ولا يستطيع ان ينفذ إلى خبثها ويدرك زيفها .

لذلك رايت ان اتتبع فصول هذا الكتيب وانقض ما فيه من التهم والاباطيل فصلا فصلا من غير ان يكون في ذلك مس بجهة من الجهات ، لان الكلام مع الكلام . والصداقة أو العلاقات الطيبة لا تتأثر بالنقد النزيه ، لاسيما والجهة المعنية التى نحرص على صداقتها قد بينت عدم مسؤوليتها في هذا العمل المغرض . ولكل قوم هاد .

حاشيـــة ومقـــدمة

يبتدئ الكتيب بحاشية تفسيرية (Annotation) وبمقدمة . واحب ان اقدم هذه الحاشية بنصها الكامل ، ليعلم القارئ مدى ما يكنه هذا المؤلف للإسلام وكتابه العزيز من كراهية وحقد ، بالاضافة إلى محاولة التأثير في قارئه من أول وهلة، حين يلخص له كل ما شحن به كتيبه من باطل وزور ، في هذه العبارات القلائل التى يسميها بالحاشية ، ليستدرجه إلى قراءته أو ليتركه مع نتيجة دراسته المزعومة للقرآن ، وهى عدم امكان الاعتقاد به . وإلى القارئ نص تلك الحاشية :

السؤال المطروح في هذا الكتيب ، يهم عددا من الاشخاص الذين يؤمنون إيمانا اعمى بالقرآن . والجواب المقدم من المؤلف على هذا السؤال ، المبنى على العلم وقبل كل شئ ، على الحياة من منظورنا العصرى ، يظهر بكيفية مقنعة ان القرآن ليس فقط تعليما غير منطقى ، بل هو فوق ذلك اوجد كهنوتا إسلاميا باطلا ومتناقضا يعادى الشعب ولا يصح ان يكون محل إيمان . « ويبين مؤلف الكتيب في احد فصوله عبثية الاعياد والطقوس الإسلامية ومضارها التى تلحق بالمؤمنين وبالمجتمع ايضا » .

ان هذا الكلام الملقى على عواهنه ، لاصطياد السذج والاغرار، يجعلنا نتعرف على طريقة تفكير هذا المؤلف ، وتناوله لموضوع خطير مثل الذى يتضمنه عنوان كتيبه ، والنظرة الاولى التى نخرج بها عنه ، هى انه وان كان شيوعيا ملحدا ، فإن عقليته عقلية مبشر مسيحى ، لانه يتكلم بلغة المبشرين ، ولا يختلف عنهم

في سوق الاتهامات بدون حجة ، وبناء الاحكام الجزافية عليها من غير حياء . والا فما مقام هذه الحاشية من الاعراب ، وتصديرها حتى قبل المقدمة ، مع خلوها من أى فائدة الا الطعن والقذف ، في كتاب ودين يؤمن بهما أكثر من سبعمائة مليون نسمة ، من بينهم نحو الستين مليونا من مواطنيه الروس ؟

فعلى الاقل كان من واجبه ان ينتظر حتى نهاية الكتيب؛ ليعطينا هذه النتيجة الباهرة ، ان صححتها أدلته وبراهينه العلمية والمنطقية ، ومع ذلك فكان عليه ، ان يتجنب الالفاظ السوقيـة والكلمـات المقذعـة التى لا تدل على ثقافـة ولا على ديبلوماسية مما يصف به المؤلف نفسه . . !

وما مثل هذه الحاشية الا مثل ان يؤلف احد الكتاب في نقض الشيوعية مؤلفا يجعل عنوانه على سبيل الفرض : « هل الشيوعية مذهب صالح لحكم الشعوب ؟ » ثم يكتب في اوله على غرار ما فعل مؤلف (هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟) حاشية تفسيرية يقول فيها مثلا :

« ان هذا السؤال الذى يهم المتسلطين على الشعوب باسم الاشتراكية العلمية وحكومة العمال ، قد تعرض المؤلف لنقضه بالحجج العلمية والحقائق الثابتة ، وبين انه دعوى باطلة وفكرة خيالية بعيدة عن الاقرار والتطبيق . وان الشعب الذى كتب عليه ان يقع تحت سيطرة طغمة من الشيوعيين ، يعاني من الاستبداد والحرمان ما لا يمكن ان يحتمل . وان الشيوعية ما قامت فيه الا بعد مذابح وانهار من الدماء سالت في الدفاع عن كيانه وعقيدته وممتلكاته ، ولكن قوة سدنة الفكرة الشيوعية والعمال المغرر بهـم ، تغلبت في النهاية على مقاومة الشعب الاعزل واخضعته للحكم الجهنمى الذى فرضته ثورة الموتورين والحاقدين والانتهازيين الذين يسمون انفسهم بالشيوعيين» إلى آخر ما يمكن ان يقال .

وبالطبع ليس هذا كلاما يمكن ان يرد به على ذلك السؤال ، ويطعن في مذهب يسود بلادا شاسعة الاطراف، وشعوبا متعددة الاجناس واللغات، مهما يكن الراى فيه ، ومخالفة الكاتب لمن يعتنقونه ويأخذون به .

طنجة — عبد الله كنون



المقـــــدمة

بعد ذلك يأتي المؤلف بالمقدمة التى يقول فيها: انه بعد التخلص من الظلم الذى دام قرونا عديدة ، تمكن الشعب السوفياتي تحت ادارة الحزب الشيوعى ان يبنى مجتمعا اشتراكيا قويا واثقا بنفسه ، وان يرمى كسقط المتاع كل قديم بائد يعرقل العمل للمستقبل الباهر .

ولا نعلق على هذه الفقرة بنفى الظلم عن حكومة القياصرة الروس ، او اثباته ، فإن هذا ما يهم الروس انفسهم ، والمؤرخين منهم بالخصوص ، يوم يتمكنون من كتابة تاريخهم بعيدا عن كل تأثير أو ضغط مادى أو معنوى ، ولكن ما يجب ان يقال ولو على سبيل التساؤل هو : هل تخلص الشعب السوفياتي حقا من الظلم بعد قيام الحكم الشيوعى؟ ام أن ظلما من نوع آخر ، ولنسمه ظلما اشتراكيا من باب المشاكلة ، قد سحق هذا الشعب المسكين ، كما يؤكده الكثير ممن كتبوا عن كيفية انتصار الثورة وعهد ستالين بالخصوص ؟

اننا ، ونحن نكتب ردا قرآنيا ، لا بد ان نتقيد بروح القرآن ، فلا نشهد الا بما علمناه بالطرق التقنية ، ولذلك لا يمكن ان نتحمل مسؤولية الجواب عن هذا السؤال ، اعتمادا على ما قاله الغير ، فالقرآن يقول : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسؤولا » .

واما نبذ القديم لانه يعرقل العمل للمستقبل ، كما زعم المؤلف ، فإنه كلام خاطئٌ واقعاً وفكرة . . فلم تنبذ الثورة الشيوعية القديم ، كلا ولا بعضا . كيف وهو من خيرما عندها او خيره على الاطلاق : المتاحف ، المكتبات ، المدارس ، المعاهد ، المساجد ، الكنائس ، البنايات والقصور العظيمة ، الكرملين ، الارميطاج ، آثار سمرقند العجيبة ، مرصد اولوغ بلك ، الخ الخ . . كل هذا من القديم الذى تَبنَّته الشيوعية وصانته وهى تباهى به ، وتستقبل مئات الآلاف من السياح لمشاهدته والوقوف عليه باستمرار .

والبيروني العالم الكبير الذى احتفلت به حكومة المؤلف مؤخرا ، وهى حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، كما لا نحتاج ان نقول : اليس هو من القديم الذى يشرف بلاده وتاريخها المجيد ؟ وكذلك يقال في الشاعر على نوائي الذى احتفلوا به في السنة الماضية ، وغير هذين من عشرات العباقرة والعلماء المسلمين وخلافهم الذين انجبتهم تلك البلاد العظيمة . .

وإذا كان هذا هو الواقع ، فالفكرة من أصلها خاطئة ، لانه من ليس له قديم لا جديد له . . ولو طرحنا كل ما هو قديم من واقع الحياة لعادت الإنسانية إلى عهد ما قبل التاريخ ، وإلى العهد الحجرى ، واضمحلت العلوم والفنون والحضارة العصرية التى ننعم بمعطياتها ، فإنها إنما أنشئت في ظـــلال المعارف القديمة التى توارثها الخلف عن السلف وبنى عليها حتى نمت وترعرعت ووصلت لما هى عليه الآن .

والشعب الروسى قد بدأ نهضته في عهد بطرس الاكبر الذى يعد بحق باني روسيا الحديثة . ولو ان الثورة الشيوعية بدات من نقطة الصفر لكانت مثل باقي الثورات التى قامت في البلاد الاخرى ، لم تغن عنها الشيوعية شيئا ، لان الشيوعية وحدها ليست أكسير التقدم والتطور .

فليس صحيحا اذن ما قاله المؤلف من أن الثورة الشيوعية في روسيا بنَتْ على غير اساس ، وانما نبذت القديم برمته ، فضلا عن قوله ان القديم يعرقل النهضة .

ثم يقول المؤلف في مقدمته: ان عدة ملايين من المؤمنين الروس فهموا ان الاديان ومن جملتها الإسلام تقود معتنقيها إلى حياة غير واقعية ، في عالم تسيطر عليه أوهام التصوف بقوة فوق الطبيعة لا وجود لها ، عالم من الآمال الخادعة التى لا قيمة لها ، عالم خيالى فارغ وعقيم . ونحن بناة الشيوعية أدركنا من زمن طويل ان الدين يعوق تقدمنا السريع ، لكن كثيرا من عمالنا وان كانوا يعرفون جيدا خطر الدين ، ما زالوا يعتقدون بوجود الإله ، وبأنه بعد الموت سيلقى الناس جزاء أعمالهم ، إما في النار وإما في الجنة .

إن هذا الكلام التافه لا يستحق الرد ، وهو يدل على عقلية قاصرة لا يتعدى

نظرها ما يحيط بها من حدود وسدود ، لقد ملأها وأغلق عليها منافذ التفكير ، ما شحنت به من تعاليم بدائية ، وعقائد جاهلية ، نفض الناس منها ايديهم منذ بلغتهم دعوات الرسل واقوال الحكماء ، واقل ما يقال فيه ، بل ما يستلزمه ، هو ان البلاد الشيوعية هى وحدها التى تتقدم بلا عائق ، وتتطور بغير معارض ، لانها انسلخت من الدين ، العدو الوحيد للتقدم والتطور ، اما البلاد الاخرى سواء أكانت في أوربا أو امريكا أو آسيا أو افريقيا ، فإنها تتخبط في الظلام والتخلف ، لانها ما تزال متدينة ، فلا علوم ولا حضارة ولا تقنية ، بل ولا ادب ولا فن ولا حياة ، لان تدينهـــا يعوقها عن ذلك ، ولنغمض الطرف عن قوة امريكا وتحكمها في الذرة وسيطرتها على الفضاء ، ولننكر ما تنعم به شعوب أوربا كفرنسا وبريطانيا والمانيا وايطاليا بل شعوب آسيا كاليابان من تقدم في المعارف والفنون والصناعات ومختلف انواع الانتاج والاختراع في عالم التقنية والطب والكيمياء وعلم الاحياء ، وما تدره عليها معاملها ومصانعها الكبرى من ثروات طائلة ، وما تنغمس فيه من ترف ورفاهية عيش وبلهنية وحياة كريمة ، نظن أن أحدا من شعوب الكتلة الشيوعية لا يحلم به ولا يكاد يتصوره . انما مع ذلك لنقل مع المؤلف : ان التقدم قاصر على الاتحاد السوفياتي لانه رفض الدين ، وما سواه من الامم والشعوب لا يزال متأخرا يتعثر في خطاه نحو التقدم لانه متدين ويعتقد بوجود الاله وبيوم الدينونة .

وبما ان المؤلف قد عمم في كلامه هذا ولم يخصص دينا دون آخر ، فإن الاحتجاج عليه بحال اهل اوربا وامريكا المسيحيتين ، ملزم له اكثر من غيره ، لاسيما والإسلام الذى هو مقصود المؤلف ، قد ادى دوره على احسن ما يرام في تقدم اتباعه ، وانشائهم لتلك الحضارة التى بهرت العالم في وقتها ، وهو الآن اكبر حافز للمسلمين على طلب العلم والتوغل في مدارج الرقي ، فلزمت الحجة اتباع المذهب المادى بحال اهل الدينين الكبيرين : المسيحية والإسلام ! . .

ويضيف المؤلف إلى ما تقدم قائلا : ان هؤلاء المؤمنين لا يعلمون ان الدين ليس هو الا نتيجة لوهم باطل ، وان كتب الكنيسة تحتوى على اكاذيب واشياء

من قبيل المحال يغالط الرهبان بها المؤمنين . والقرآن من بين هذه الكتب يحتوى كذلك على اساطير وهمية حول الإله ، وان تعاليمه شبيهة بتعاليم الكتب الكنسية ، وانه في كتيبه هذا (هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟) يبين اخطاء القرآن وما فيه من من اكاذيب ، ويظهر نفاق الوعاظ المسلمين ، ويجيب على عدد من الاسئلة التى تهم قراءه .

وكما قلت في التعليق على حاشيته التفسيرية إنه كان على المؤلف ان يعطى النتائج والاحكام بعد المقدمات الصحيحة والادلة المنطقية . . فتقديم تلك على هذه لاسيما مع استعمال ألفاظ التجريح وكلمات القذف ، هو من اكبر العلامات على الضغينة والحقد ، والعجز عن المجادلة بالعلم والإلزام بالحجة . فنحن لا نجاريه في هذا العمل السوء، ولا نخالف عن ادب القرآن الذى يقول : (وجادلهم بالتى هى أحسن) وسنرى فيما يأتي تهافت مزاعمه وسقوط اتهاماته .

ما هو القرآن ؟ :

عقد الكاتب تحت هذا عنوان الفصل الاول من تأليفه للتعريف بالقرآن تعريفا يظهر منه ان الشيوعية لا ترهب كتابا كما ترهب القرآن ، ولذلك فهو لم يأل جهدا في ابداء حقده على هذا الكتاب العزيز ، وتلفيق التهم ضده وكيل المطاعن فيه بما ظن انه ينال منه شيئا ، والامر كما قال الشاعر :

كناطح صخـــرة يومـــا ليوهنهـــا

فلـــم يضرهـــا وأوهى قرنـــه الوعـــل

وهذه اولى كلماته في ذلك : « القرآن ، هذه الكلمة السحرية التي ظهرت منذ مئات السنين ، ما تزال تضرب قلوب المسلمين بسياط الفزع والخوف » . وهي اعظم أكذوبة يسطرها هذا المؤلف في كتيبه على المسلمين ، من غير حياء ولا خجل ، وهم شعوب وامم يعدون بمئات الملايين ، وينتشرون في بقاع الارض من جميع القارات ، وما فيهم الا من يؤمن ويشعر بأن القرآن كتاب هداية ونور ، وطمأنينة تشيع في النفوس ، ورحمة تغمر القلوب ، يفزعون اليه عند الكرب ، ويفرجون به الغم ، ويستوحون منه المعارف والعلوم ، ويعتبرونه العروة الوثقى والصلة المكينة بينهم وبين الخالق عز وجل لانه كتابه الحكيم ورسالته إلى الناس أجمعين . وليس هناك كتاب ولا كلام يحل عند المسلمين محل القرآن ويستأثر بتعظيمهم وتعد كلمته بينهم الفصل في شؤون الدنيا والدين إلا حديث الرسول صلي الله عليه وسلم ومع ذلك فهو يأتي في المنزلة الثانية بعد القرآن .

ولعل هذا هو ما يغيظ مؤلف كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ومن يتكلم باسمهم ، فإنهم يريدون ان تحل كتب ماركس ولينين عند المسلمين محل القرآن وهيهات هيهات ! . .

ولكن الغريب هو ان يتقول على المسلمين ، وهم بين ظهرانيه احياء يرزقون ، فما عسى يقول لو كان يتكلم على قوم بادوا ودخلوا في ذمة التاريخ ؟

ان هذا سبيل من يتكلمون على الإسلام من خصومه واعدائه ، سواء كانوا مستشرقين أم مبشرين أم ملاحدة كهذا المؤلف ، الا الذين يحترمون انفسهم ويحترمون البحث العلمى ، وقليل ما هم ! .

ويذكر بعد ذلك كدليل على زعمه ، ان القرآن يلزم المؤمنين به ، بأعمال غريبة ضد انفسهم كالصيام والحج ، وحيث انه سيتعرض لا ركان الإسلام بعد هذا بتفصيل ، فإنا نؤخر الكلام على هذين الركنين وما قاله فيهما إلى محله . فضلا عن ان هذا الاستطراد لا يدخل في ماهية التعريف بالقرآن الكريم . .

ثم يتطرق الكاتب إلى الكلام على اسم القرآن ، فيقول إنه لا يوافق ما يتضمنه هذا الكتاب ، لأن معناه القراءة ، وكل كتاب ادبي غير دينى يمكن ان يطلق عليه نفس الاسم .

وليت شعرى ما الذى يمنع ان يطلق هذا الاسم على كتاب دينى ما دام يصح ان يطلق على كل كتاب ادبي ؟ أليس معناه القراءة ، وهى أعم من ان تخص بكتاب ادبي أو علمى أو دينى ؟ الا ان يكون المؤلف اراد ان يلزم الناس بنظر الشيوعيين الذين يستبعدون كتب الدين عن التداول ويمنعون قراءتها فتكون القراءة حنيئذ لا توافق مضامين كتب الدين ، أى لا تطلق عليها ، فتدخل الشيوعية حتى في تحديد معاني الألفاظ لغويا ، وهو حرج كبير وتحجير على الافكار غريب ! . .

ويزيد فيقول : ان محمداً صلي الله عليه وسلم اراد الاقتداء بيهود وقته، فاعطى لكتابه، يعنى القرآن، الاسم الذى يطابق اسم كتاب اليهود وهو التوراة لانه يدل على نفس المعنى . وهذا القول يحمل في طيه ردا على المؤلف، لانه اذا صح ان يطلق اسم التوراة بمعنى القراءة على كتاب اليهود ، فلماذا لا يصح اطلاق اسم القرآن على كتاب المسلمين؟ . .

ثم هو في نفس الوقت يدل على اتحاد الدينين في أصلهما ، وكون الكتابين من منبع واحد ، وهو الوحى الإلهى ، قبل تحريف التوراة على ما هو معلوم عند عموم المسلمين

ويذكر المؤلف ان القرآن يسمى ايضا بالفرقان ومعناه الفاصل بين الحق والباطل والخير والشر ، وهذا صحيح الا انه يتخبط بعد ذلك في ذكر اسماء اخرى للقرآن ، ياخذها من أوصاف لكلام الله ، ويزعم ان مصاحف طبعت تحت تلك الاسماء في بلدان مختلفة ، ومنها الزهرة الكاملة ، ودروس للعالم ، وتعليمات حكيمة ، ودواء القلوب . . وليست هذه بأسماء للقرآن ، والمؤلف في هذا المطلب يهرف بما لايعرف ، ويعطى الدليل على جهله التام لما يتكلم فيه .

ويرجع هذا المؤلف فيقول : ومن المؤكد ان المهم ليس هو الاسم الذى يعطى للقرآن ، ولكن محتوياته . وقد جمع في منتصف القرن السابع للميلاد ، ويشتمل على ١١٤ سورة . وهو مدفع الديانة الإسلامية التى ظهرت في ذلك الوقت .

وهذا الكلام المطابق للواقع وردت فيه كلمة غريبة لا ندرى ما قصد الكاتب بها ولكنها على كل حال تعطى معنى غير ما يقصده، وهى قوله: «وهو مدفع الديانة الإسلامية » لانا نفهم منها ان انتشار الإسلام في الماضى وفي الحاضر ، هو بالقرآن معجزته الخالدة ، التى تقوم مقام المدفع الذى يستعمله الطغاة ، في نشر افكارهم ومذاهبهم ، وفرض حكمهم وسياستهم ، على الشعوب والامم في حين ان القرآن الكريم بحقائقه الرائعة وتعاليمه السامية ، يفتح الطريق امامه لعقيدة الإسلام وشريعته السمحة من غير سيف ولا مدفع » وهذا ما تشير اليه الآية الكريمة التى تقول خطابا لارسول صلى الله عليه وسلم : « وجاهدهم به جهادا كبيرا » أى بالقرآن .

ثم يقول : ان ماركس وانجلز (وهما من اقطاب الشيوعية) لاحظا ان الإسلام تيار دينى مستقل ، له مفاهيمه الخاصة التى تأثرت بحياة البدو الرحل من العرب كما تاثرت بحياة العرب القاطنين بالمدن ، الذين اعطوه صفته الثابتة ، وان تدهور

العلاقات التجارية بين الدول العربية في القرن السادس والسابع هو الذى ارغمهم على الاتحاد ، يعنى تحت راية القرآن .

اننا نسجل بكل ارتياح هذه الملاحظة التى أتي بها المؤلف للنيل من الإسلام ، وهى بعكس مراده تثبت عبقريته وعظمته كدين ونظام ومنهج للحياة صالح لمختلف الجماعات من بدو وحضر ، وانه إلى ذلك دعوة اصيلة مستقلة بمفاهيمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وليس كما يزعم خصومه والمقللون من شأنه ، الذين يقولون ان هو الا نسخة محرفة من اليهودية والنصرانية، وان محمدا صلي الله عليه وسلم كان يتلقى بعض تعاليم التوراة والانجيل من يهود المدينة وبعض نصارى العرب ومنها ألف كتابه الذى سماه بالقرآن . وقد مر بنا آنفا قول المؤلف ان النبي صلي الله عليه وسلم استمد اسم كتابه من معنى اسم كتاب اليهود . فنحن نرد عليه بهذه الفقرة التى بناها على ملاحظة قطبي الشيوعية المذكورين ولا نضربه الا بأحجاره .

وتعليله لاتحاد العرب تحت راية القرآن حسب ملاحظة ماركس وانجلز بالعامل الاقتصادى ، هو كما لا يخفى جنوح للنظرية المادية في تفسير التاريخ . وعلى ما في هذه النظرية من تهافت فاننا نرحب بأن يكون القرآن هو الذى جمع العرب على نظامه الاقتصادى الشامل والصالح لتوطيد علاقات دولهم بعضها مع بعض . وبذلك يعلم ان الإسلام ليس دينا بمعنى اللاهوت فقط ولكنه نظام اقتصادى رائع ومنهج متكامل للحياة السعيدة الرخية .

ويتابع الكاتب تعريفه للقرآن فيقول: انه كتب باللغة العربية كما هو معروف ، وان اسلوبه من قبيل النثر المقفى أو المسجوع ، وهذا خطأ فالقرآن ليس مسجعا ولا مرسلا ، ولكنه مفصل تفصيلا على مثال فريد ، ولذلك تعجبت العرب من فصاحته ولم تستطع ان تجاريه لأنه جاء على غير ما تعهده من أساليب الشعر والنثر .

ويقول: ان عددا من المسلمين الناقصى التعليم لا يفهمونه ولكنهم يؤمنون به إيمانا اعمى ، وما عيب القرآن ان كان ناقص التعليم لا يفهمه ؟ وجميع الكتب كذلك لا يفهمها ناقصو التعليم، ولاسيما ان كانت من الطراز العالى كما هو القرآن . ويناقض المؤلف نفسه حين يقول : ان المسلمين يؤمنون بالقرآن إيمانا اعمى وان

كانوا لا يفهمونه ، فمقتضى الإيمان بالشئ انه مفهوم للمؤمن به ، والحق ان المسلمين مهما ضعف تعليمهم فانهم يفهمون كثيرا من آيات القرآن وتعاليمه واحكامه، بدليل ان هذه الآيات تجرى على السنتهم مجرى الامثال ، فليس إيمانهم به إيمانا اعمى كما يقول المؤلف ، وليس في الإسلام إيمان اعمى لانه دين العقل والفطرة والعلم ، ولكن المؤلف يقيس على ما يعهده من مبادئ الشيوعية وتعاليم الكنيسة التى تتطلب إيمانا اعمى ، وهى التى تستعمل هذا التعبير واما في الإسلام فلم يعهد استعمال هذا التعبير قط .

ويعود المؤلف للكلام على سور القرآن فيقول : ومع مرور الايام ألغت احدى فرق الخوارج سورة يوسف قائلة انها لا تليق بكلام الله ، فصارت السورة ١١٤ تحمل عدد ١١٣ وزادت فرقة من الشيعة تسمى بعلى إلهى سورة تعتقد انها نزلت في علي .

ان هذا المؤلف يحاول بتنقيبه تحت الاحجار المنسية ان يثير الريب في القرآن وما قيمة فرقة شاذة من الخوارج امام اجماع المسلمين سنيين وشيعيين على عدد سور القرآن المحصور في ١١٤ سورة من يوم ان سجل في المصحف العثماني إلى اليوم ؟ واين هو المصحف الذى ينشر في العالم الإسلامى أو يوجد مخطوطا من قديم لا يحتوى على هذا العدد من السور ؟ أولا توجد فيه سورة يوسف ؟ أو يحتوى على سورة علي حتى عند الشيعة ؟

وهل علم المؤلف قيمة سورة يوسف وما تتضمنه من تمجيد العفة وصيانة العرض والصبر على المكاره وعاقبة المؤمن المتقى العامل المخلص الملتزم بتعاليم الاله الداعى اليها ولو كان في السجن كما هو حال يوسف ، من ايتائه النصر والظهور والتمكين له في الارض واعلاء قدره بين الناس ؟ انه لو قرأ هذه السورة قراءة تدبر واعتبار لما ردد قول فرقة من الخارجين على النظام ، العاملين لهدم الإسلام ، ولكان حريا به ان يطويه على غيرة ، كما طواه التاريخ ، ولم يشايع قائليه حتى اصحابهم من بقية فرق الخوارج .

ومن ينكر اليوم ما للقصص من التأثير على السلوك والاخلاق ، وقد صار

فن القصة اعظم فنون القول انتشارا واكثرها استعمالا من الكتاب والفلاسفة والمفكرين ، اذ يعتبرونه اقرب الطرق لنقـــل الافكار وتوحيد المجتمع وتربية الشباب ؟ والقرآن قد سبق إلى هذا اللون من الوان الكلام ، فإن جهل منفعته طائفة شاذة من متعصبة الخوارج ، فكيف يحتج بهم مؤلف من اهل القرن العشرين ، والمفروض فيه ، وهو من رجال السلك الدبلوماسى ، ان يكون ملما بثقافة العصر وبفنون الادب الرائجة فيه ؟ . .

ويبرهن مرة اخرى على اقحامه نفسه فيما لا يحسنه ، وما ليس له به علم ، فيقول عطفا على ما تقدم : وعدد آي القرآن يختلف أيضا ، فالمكى ٦٢١٩ والمدني ٦٠٠٠ والمنشور في سوريا ٦٢٢٩ . وبمقتضى كلامه هذا لو جمعنا عدد المكى مع المدني لفاق ١٢٠٠٠ آية ، واذن فيكون المنشور في سوريا هو نصف هذا العدد فقط ، وبذلك يذهب نصف القرآن .

والواقع ان عدد آى القرآن ما بين مكى ومدني هو ستة آلاف ونيف ، يختلف بعدّ بعض الآيات آية أو آيتين فيصل هذا النيف إلى مائتين وعشرين آية تزيد قليلا أو تنقص قليلا ، فأين ما يزعمه هذا المؤلف من انه ١٢٠٠٠ آية وزيادة ، وان ما طبع في سوريا هو نصفه فقط ، ليدخل في وهم قارئه ان الخلاف في آى القرآن خلاف كبير يصل إلى حد الضعف ؟ .

ويبنى على فهمه الخاطئ في تعداد الآي قوله : « من هذا كله يتبين ان القرآن من تأليف رجال تصرفوا فيه وجمعوه على حسب اهوائهم ومصالح ساداتهم الإقطاعيين والتجار (وبيكوات) العصر » وهكذا يستخلص من خطأ فظيع حكما فظيعا . . فبعد ان كان خصوم الإسلام من كتاب الغرب والمبشرين المسيحيين ومن يسمون انفسهم بالمستشرقين يدعون ان القرآن من تاليف محمد ﷺ يجئ مؤلف آخر زمن ، فيزعم ان القرآن من تأليف عدة رجال ، بناء على عدم فهمه لما ذكره العلماء في عدد آى القرآن وخلطه بين الآيات المكية والمدنية ويقول: ان ذلك ناتج من تصرف الذين جمعوه ونشروه بالزيادة والنقصان إرضاء لساداتهم وبيكواتهم . . فهكذا يكون البحث ، وهكذا يشيد دعاة الشيوعية وخصوم الإسلام صرح الالحاد المنهار ! . .

ويزيد هذا المؤلف العظيم قائلا في وصف اسلوب القرآن ومحتواه : « انشاء القرآن غير منسجم ، وتناقضاته كثيرة ، وتصوراته مبهمة ، وهو يطنب كثيرا في مسألة الزكاة والجهاد ، وتوعد غير المؤمنين ، وفيه قسم طيب يختص بالثناء على الله والحديث عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم . . » .

ان الحكم على انشاء القرآن قضية ليست مما يحكم فيه امثال المؤلف من الاجانب عن اللغة العربية ، الذين لا يفهمون حتى مدلولات الفاظها وجملها ، ويقعون بسبب ذلك في اغلاط شنيعة مثل التى وقعت له في حديثه عن اسماء القرآن وتعداد آيه . . والبقية تأتي .

وحسب المؤلف لو كان معه قليل من الانصاف ان يقتنع بقول علماء العرب والمسلمين ان اسلوب القرآن معجز وانه الذروة والسنام في البلاغة العربية ، ويشايعهم على ذلك من لم يعمه التعصب من المستعربين الاجانب .

واما التناقضات والابهام فهى بالنسبة إلى المؤلف ناشئة عن عدم الفهم الذى اشرنا اليه . . ومع ذلك فلو كان أشار إلى احدها أو مثل لها لكنا اجبناه ، والاحكام التى تلقى جزافا بلا دليل لاتستحق الالتفات .

بقى الكلام على ما قاله من اطناب القرآن في مسالة الزكاة والجهاد وتوعد غير المؤمنين ، ونقول عليه : انه لذلك انزل وبه أوحى ، وهى دعوته التى أنقذت الناس من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة الاوثان إلى عبادة الواحد الاحد . وكما يطنب فيما ذكره كذلك يطنب في مسألة الصلاة وبر الوالدين وصلة الارحام ومكارم الاخلاق والاحسان إلى الخلق من انسان وحيوان والتفكر في آيات الله وعجائب الكون ، والحض على العلم وتحكيم العقل فيما بيد الناس من مخلفات الجاهلية وآثار العهود البائدة وما إلى ذلك ، مما يجب ان لا يخلو منه كتاب دينى فأحرى الكتاب صاحب الرقم الاول في هذا الباب . . ولا ادرى كيف افلتت من المؤلف ، وقد رأينا سوء رأيه في القرآن من اول وهلة ، هذه الجملة التى امتدح فيها قسما من القرآن ، وهو الذى يحتوى على تمجيد الله عز وجل وذكر رسوله عليه السلام ؟ . .

وعلى عادة المؤلف في الاستطراد يقول: «بعد القرآن، القانون الأساسي للمسلمين، يأتي الحديث ، وهو الاقوال والافعال المنسوبة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم واستنباطات أئمة المسلمين مثل الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي وغيرهم من مفسري القرآن وشراح الحديث الذين كونوا مذاهب مختلفة ، ولكنهم في النهاية وضعوا شريعة الإسلام التي تعني قوانينه ودستوره العام الذي يحمي حقوق الطبقة المالكة » .

ان ما يقصده الكاتب من الكلام على الحديث الشريف استطرادا ، في فصل انما عقده للكلام على القرآن هو هذه الجملة الاخيرة التي يتورك فيها على الشريعة الإسلامية ، لكونها تحمي حقوق الطبقة المالكة، وهذا ذم وعيب وشتم لكل شريعة تتضمن حماية الملكية ، في نظر الشيوعيين ، وفي نظري ليس أغبى من فرد أو جماعة ترى رأيا تريد ان تفرضه على الناس كافة ، لمجرد انه رأيها ، فإن كانت الشيوعية تلغي الملكية الخاصة فالها ذلك ، ولكن ان تجعل رأيها هو الصواب وأن كل من خالفه على خطأ ، فهو من التعصب والغلط والانانية التي لا دواء لها .

نعم ان الشريعة الإسلامية تحمي حقوق الطبقة المالكة ولكنها في الوقت نفسه تحمي حقوق الطبقة غير المالكة من عمال وغيرهم . وقد رأينا في التاريخ الاول للإسلام كيف وقف الخليفة الاول بجنب الفقراء لما منع الاغنياء عنهم الزكاة ، والخليفة الثالث كيف وقف بجنب الاغنياء لما طمع الفقراء في اكثر مما أوجب الله لهم في مال الاغنياء . وكما يقول القرآن : (قد جعل الله لكل شئ قدرا) .

ويختم الكاتب هذا الفصل بعموميات يقول فيها : « ان الأئمة والشيوخ لم يفتأوا طوال القرون السالفة يرسخون في عقول العامة خرافات خيالية حول خلق الله للدنيا وخلق الإنسان ووضعية المرأة المهينة ، والملائكة والشياطين إلى آخره » .

وكلام مثل هذا ملقى على عواهنه ، تتقزز منه نفس الباحث الذي يعتمد المنطق والدليل في كلامه ، فكيف يرد على اقوال سوقية وأفكار عامية ، هي أنسب بالاميين منها بالمثقفين . فهل اتتنا الشيوعية بحقائق عن خلق الدنيا وخلق الإنسان ؟ وهل وضعية المرأة في أي مذهب أو نظام تحرري ، دع عنك الشيوعية ،

هى افضل من وضعيتها في الإسلام ؟ ولا ادخل في التفاصيل ، لان صاحب كتاب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن إنما يلقى بالتهم والمطاعن وهو قارٌ في الشارع. وهل إن كانت حفنة من الملاحدةُ لا تعتقد بوجود الملائكة والشياطين ، يصبح ذلك دليلا وحجة على أتباع جميع الاديان ، وهم سكان المعمورة كافة ، الذين يؤمنون بوجودهما ؟

ان كلام هذا المؤلف وانتقاداته ومطاعنه تشبه فيما يخيل لى طبيعة النظام الذى يدافع عنه ، والذى يقوم على القوة والسلطان ، فهو يدلى من فوق بأفكاره وآرائه ، ويعتقد ان على الناس ان يعتنقوها ويؤمنوا بها أحبوا أم كرهوا . . فيا للسخافة ! . .

ثم يطلق احكاما اخرى اكثر عمومية من التى قبلها مثل قوله : « ان الإنسان بحسب القرآن والشريعة الإسلامية يفقد ارادته وحرية الاختيار وأن القرآن ضد التقدم والحرية ، ضد العلم والثقافة ، ضد سعادة البشرية أى ضد الشيوعية » كأن مدلول الشيوعية هو هذه المعاني والمقولات السامية ، ومنذ خلق الله الخلق وهم في الضلالة يعمهون حتى جاءت الشيوعية فكانت هذه معطياتها ولكن فقط لمن لها يعتنقون ! . .

واخيرا يلقى هذا السؤال : « هل يعتقد المسلم ان القرآن قانون لا يتغير ، وانه بقى صالحا لعصرنا هذا ، عصر الاختراعات العلمية وريادة الفضاء وقوة الإرادة البشرية » ؟ .

والجواب نعم ، وكل مسلم والخاصة الذين جربوا الشيوعية ، يقولون نعم، بدليل انهم نبذوها نبذ النواة ، وولوا وجههم لدينهم القويم ودستوره الخالد الذى هو القرآن وليس يقض مضجع الشيوعيين وغيرهم من اصحاب المذاهب والنظم سواء كانت يمينية أو يسارية ، شئ مثل هذا المد الإسلامى الذى يرتفع يوما عن يوم في جميع اقطار العالم الإسلامى بالمشرق والمغرب (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) .

القرآن والعمل :

تحت هذا العنوان كتب فصلا هو الثاني من كتيبه ، خصصه لموقف القرآن من العمل . وقد استهله بالبديهية الآتية في نظره ، وهى قوله : « إن كل ما يوجد على وجه الارض هو من صنع يد الإنسان وعقله ، كما هو معلوم » .

ونجد انفسنا مضطرين لنقض بديهيته هذه ببديهية حقيقية ، لا يمارى فيها مؤمن ولا ملحد ، وهى ان من جملة الاشياء الموجودة على ظهر الأرض الإنسان نفسه ، فهل هو الذى صنع نفسه بيده وعقله ؟ ومتى كان ذلك ؟ واين ؟ وكيف ؟ اسئلة نوجهها إلى الفيلسوف (رحماتوف) ، منتظرين جوابه الذى يحل جميع المشاكل على الطريقة الشيوعية السوفياتية . . !

واذا كان أول الدنّ دُرْدِيّا كما يقول المثل ، فـلا نتوقع ان نرى في هذا الفصل أحسن من هذه البداية السيئة . وهكذا بعد ان يتساءل المؤلف عن موقف القرآن من العمل يقول : « القرآن يؤكد ان العمل هو العقاب الذى جازى الله به الإنسان على خطاياه » ثم يستـدل بالآية ٥٦ من سورة الذاريات (١) التى تقول : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » وهذا كلام غامض يظهر ان المؤلف سمعه من احد المبشرين المسيحيين ، أو قرأه في كتاب من كتبهم ولم يفهمه ، فنقله على علاته ، وقد اشرنا سابقـا إلى التشابه بين كلام هذا المؤلف وكلام المبشرين ، ويبدو من هذا ومن اسمه (رحماتوف) انه مر في اعتناقه للشيوعية بمراحل : الردة ثم التمسح ، ثم الالحاد . وكيفما كان الامر فقد طبق عقيدة المسيحيين في الخطيئة الاولى أو الكبرى ، على الإسلام ، وفيما يعتقد المسيحيون ان صلب المسيح كان هو الكفارة عن هذه الخطيئة ، ظن هو ان الإسلام جعل العبادة (وهى العمل في نظر المؤلف) عقابا للإنسان على خطاياه ! ؟ .

---

(١) وقد غلط في رقمها فجعله ٥٢ وهو ٥١ .

فأى خبط مثل هذا ؟ وما هى العلاقة بين العمل والعبادة حتى تجعل العبادة هى كل العمل ؟ ومن قال له ان العبادة في الإسلام هى عقاب للإنسان على ما ارتكبه من الخطايا ؟ وما قوله في الإنسان الذى لم يرتكب خطيئة كالصبى الذى يطلب منه أن يصلى وهو ابن سبع سنين ، أى خطيئة يعاقب عليها بعبادته ؟ . .

هنا يتبين ان المؤلف يهرف بما لا يعرف ، فقد حمل العقيدة المسيحية على الإسلام ، وهو براء منها ، بل هى من الاخطاء التى جاء الإسلام لتصحيحها بقول الله عز وجل في القرآن الكريم (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فضلا عن ان هذه الخطيئة الاولى قد غفرها الله لعبده منذ ادرك خطأه واستغفر ربه ، كما قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، إنه هو التواب الرحيم) .

ثم ان العبادة ليست هى كل العمل ، بل هى جزء قليل منه ، ومع ذلك فهى ليست عقابا ، وانما هى قربة وزلفى من العبد لله عز وجل ، وشكر له على نعمه التى لا تحصى ، واختصاص له بالعبودية التى يجب في شرع الإسلام ان لا تكون الا لله .

على ان العبادة في الآية الكريمة التى استشهد بها هذا المؤلف ، انما هى توحيده عز وجل ومعرفته بصفاته العلية ، فالمحققون من المفسرين يقولون : (وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون) اى إلا ليوحدوني ويعرفوني .

فسقط كل ما هول به من كلام مدخول ملفق ، يكاد يكون لا معنى له ، لولا ان اخرجنا خبأه وبينا زيفه .

بعد هذا يقول : « ان من يأخذ بتعاليم القرآن ، عليه ان لا يشتغل الا بعبادة الله . لكن كيف يمكن ان يعيش ؟ كيف يدبر المؤمن امر معيشته ؟ الجواب حسب تعاليم الإسلام سهل جدا ، وهو : « إن الله هو الرزاق » ان الإسلام وضع المؤمن أمام احد أمرين ، اما ان يشتغل بطلب الرزق ويكون حظه الحرمان في الآخرة ، واما ان يقبل الحرمان في الدنيا ويكون جزاؤه الجنة في مملكة الله » ويستشهد على قوله هذا بالآية الكريمة (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في

حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وما له في الآخرة من نصيب) (١).

وبما بيناه آنفا من ان المراد بالعبادة في قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) هو معرفة الله تعالى وتوحيده ، يبطل قوله هذا وما شيده عليه من ترهات لا حقيقة لها . فإن من يأخذ بتعاليم القرآن عليه ان يسهم بما في استطاعته ، في بناء مجتمع فاضل يقوم على العدالة الاجتماعية والاحسان في العمل ، ويمتنع هو كما يمنع غيره من المنكر والبغي وجميع الشرور ، على حسب ما جاء في القرآن ، في آيات كثيرة ، من أكثرها دلالة على ذلك قوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربي ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون) وليس عليه ان لا يشتغل الا بالعبادة كما زعم هذا المؤلف ، كيف والقرآن يقول : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) فأمر المؤمنين بمجرد انصرافهم من الصلاة ان ينتشروا في الأرض طلبا للرزق، وذلك يكون بجميع انواع العمل: من صناعة وتجارة وفلاحة وبالسفر والتنقل في البلاد جلبا وتصديرا لخيراتها ومنتجاتها على سبيل تبادل المنافع وتنمية الموارد إلى غير ذلك مما يدخل تحت هذه العبارة الفذة الجامعة (فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) ولكن من أين للمؤلف ان يفهم سر البلاغة العربية والاعجاز في الاسلوب البياني للقرآن .

والمهم هو ان القرآن يحض على طلب الرزق ، ويأمر المؤمنين به ان ينصرفوا من الصلاة إلى السعى في الأرض لتدبير معيشتهم ، عكس ما ادعاه المؤلف من انه انما يلزمهم بالعبادة ولا يدع لهم فرصة لطلب الرزق اعتمادا على ان الله عزوجل هو الرزاق ، فها هو القرآن يكذبه ويعكس ما ادعاه ، فيجعل اقل الوقت للعبادة واكثره للعمل والسعى وتدبير المعيشة ، وذلك في يوم الجمعة الذى هو اليوم المفضل من ايام الاسبوع في الإسـلام ، لان هذه الآية من سورة الجمعة وفي صلاتها المفروضة ، بل ان مما أبر به الإسلام على غيره من الاديان ، وهو ممـا تدل عليه هذه الآية ، انه لم يستثن حتى هذا اليوم الفاضل ، أعنى يوم الجمعة ، من طلب

(١) الآية ٢٠ من السورة ٤٢ والمؤلف قال انها السورة ١٩ .

العمل فيه والسعى لتدبير المعيشة ، كما يستثنى اليهود يوم السبت والنصارى يوم الاحد ، وانما أمر باقامة صلاته في الجماعة ، وهى لا تستغرق أكثر من نصف ساعة بما في ذلك من سماع الخطبة ، أو عظة الجمعة بعبارة اخرى ، والصلاة . ثم قال : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) فما أعظم الإسلام وأكثر تجاوبه مع مطالب الحياة . . !

ومما يدخل في نطاق الحض على السعى في طلب الرزق قول الرسول صلى الله عليه وسلم « من بات وانيا في طلب معيشة أهله ، بات مغفورا له » وبما سبق للمؤلف من ان الحديث يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن وانه المبين له ، يعلم ان قول المؤمنين ان الله هو الرزاق اعتماد على تعاليم الإسلام ، ليس معناه ترك طلب الرزق ، ولكن الاعتقاد بأن ما يكسبه الإنسان بعمله وكده هو من عطاء الله وفضله ، لانه رب العالمين وخالق الكون وما فيه ، وواهب القدرة على العمل ، فمرجع ذلك إلى عقيدة الإيمان والتوحيد التى هى جوهر الإسلام .

وقال عمر بن الخطاب وهو الذى انشأ أمبراطورية الإسلام العظمى ، وليس هناك من يدعى انه يفهم أمر الإسلام في هذا الصدد أكثر منه : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، وهو يقول : اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » فطلب الرزق لا ينافي قول المؤمن : اللهم ارزقنى ، وإنما هو جمع بين الإيمان والعمل . وهذا معنى لا يرقي اليه فهم الماديين المفتونين من أمثال المؤلف .

أما آية (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وما له في الآخرة من نصيب) فهى لم تنه عن حرث الدنيا وانما تلفت النظر إلى ان العمل للدنيا يجب ان يكون مقرونا بالعمل للآخرة ، فمن عمل لآخرته مع عمله لدنياه ، تطبيقا لتعاليم القرآن التى تحض على العمل لهما معا ، كما في الآية الاخرى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا) بارك الله عمله واعطاه من خير الدارين ، ومن قصر نظره على الدنيا ولم يعمل شيئا لآخرته ، وأول عمل الآخرة الإيمان ، آتاه الله نتيجة

عمله الدنيوى ، ولم يكن له في الآخرة حظ ولا نصيب ، فهى من باب الحض على الجمع بين الإيمان والعمل ، بالنصوص التى ذكرناها من قبل . وتعلق المؤلف بها كالتعلق بخيط العنكبوت .

ومع ذلك فهو يتورك عليها ، ويقول : «ان مثل هذه الاحكـــام ليست بجديدة ، (يعنى في الإسلام) انها الاخلاقية الدينية التى يتسم بها البغاة الماكرون ، والكسالى المتبطلون ، وجميع طوائف المتفقرة الذين لا يعملون ولكن يأكلون ! » .

فهو يخرج من اتهام الإسلام إلى اتهام جميع الاديان ، شنشنة اعرفها من أخزم ، أى من الشيوعيين وجميع الملاحــدة ، وقولــه هذا هو من باب ما جاء في الامثال : رمتنى بدائها وانسلت ، فالاخلاقية الشيوعية هى المهتمة بالأكل ، وهى التى يكاد جميع نشاطها يدور على الأكل ، ولعلها لما رأت الاخــلاقية الدينية توصى بالقناعة والتقلل من الطعام وهى انما قامت لمناهضة الاديان ، جعلت وكدها هو السعى لتوفير المواد الغذائية ومضاعفة انتاجها ، ولكن الواقع هو ان القدرة الالهية عكست مرادها ، فضنت عليها بما جادت به على غيرها ، فلا ترى بلدا شيوعيا الا وهو يعاني من ضنك العيش وقلة المؤونة بقدر ما يبذل من الجهد ويتحمل من المشقة ، وقد بلغت أثمان بعض المواد الضرورية كالطماطم والبطاطا والأرز ونحوها في عاصمة بلاد شيوعية بأمريكا ارقاما خيالية ، وحدثنى بعض رجال الديبلوماسية انهم يخرجون الي القرى البعيدة من العاصمة بعشرات الكيلومترات في طلب حبتين أو ثلاث من البصل ونصف رطل من الفاصوليا . . واما الفاكهة فلا كلام عليها . ولقد كنا في بعض البلاد الشيوعية نازلين في فندق من أفخم الفنادق ، فكان طبق الفاكهة الذى يقدم الينا من الطماطم والخيار . وفي بلد شيوعي آخر بأوروبا ، احتاج أحد كبار الناس إلى ليتر واحد من اللبن لغذاء مريض عزيز عايه ، فلم يجده ، وكان له صلة برئيس ذلك البلد فذهب اليه وشكا له الحال فأعطاه ليتر اللبن المطلوب من بيته . أفيكون هذا الحرمان هو الذى يجعل أصحابنا الشيوعيين يكثرون الكلام على الاكل ويجدون في نفوسهم على الذين يأكلون ؟

لكن الذى لا ريب فيه هو ان هذه الحالة هى مصداق لقوله تعالى (وضرب

الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) ، وقوله عز من قائل (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) .

ويعود المؤلف إلى الإسلام ، يخص رجاله بعد تعميم ، فيصفهم بالخداع وتخدير عقول الناس ، واختراع الاناشيد الدينية والدعوات ، لإلهاء الشعب ، وإيهامه انه لا فائدة من العمل ، لان الله هو مدبر الامور ، وكل شئ مكتوب عنده في اللوح المحفوظ ، قائلا : « ونحن نتساءل كيف يمكن لله ان يكتب في اللوح مسيرة الملايين من البشر منذ بدء الخلق ؟ وما هو مقياس هذا اللوح السرى؟ » ثم يعقب على ذلك بقوله : « ان جواب الوعاظ المسلمين هو أن الله وحده هو الذى يعرف سر هذه الامور . » .

ونحن لا نجيبه على ما يكيله لرجال الدين الإسلامى من تهم ، وما يصفهم به من أوصاف نابية ، لا تصدر من رجل مهذب ، لا ندرى كيف انخرط في رجال الديبلوماسية ، وهو بهذه الرعونة والسلوك المعوج ، ولكنا نرد عليه قوله ان رجال الدين الإسلامى يوهمون الشعب انه لا فائدة من العمل ، فقد أثبتنا بالحجة القطعية ان ذلك خلاف الحقيقة ، وان رجال هذا الدين ما زالوا يحثون أتباعه على العمل والسعى اعتبارا بما جاء في كتابه العزيز وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم بعض ذلك ، ومنه ايضا قوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقوله صلي الله عليه وسلم « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيبيع فيأكل، خير له من ان يسال الناس اعطوه أو منعوه » وقول عمر بن الخطاب: « اني لأرى الرجل فيعجبنى ، فأقول هل له حرفة ، فإذا قيل : لا . سقط من عينى » والكلام في هذا الباب لا حصر له .

وكون الله عز وجل هو مدبر جميع الامور ، هو مما لا نزاع فيه عند جميع المؤمنين من أتباع الاديان وغيرهم من الحكماء والعلماء والمفكرين ، الا الملاحدة الذين لا يؤمنون بشئ ، وهؤلاء لا يهموننا ما دامت الاكثرية الكاثرة من سكان

المعمورة على الإيمان الراسخ والاعتقاد الجازم بأن الله خالق الكون ومدبره ومصرف أموره كما يشاء ويريد . ومنذ كانت الدنيا وهى لا تخلو من طائفة من الجاحدين والمنكرين لوجود الله ، وهم بمثابة الشذوذ الذى يثبت القاعدة ، والخارجين على النظم والآداب العامة الذين ينبذهم المجتمع ويتقيهم كما يتقى احدى الآفات .

ولما كان المؤلف لا يؤمن بالله ولايعرفه ، فمن الطبيعى ان ينكر تصريفه للأمور واثباته للمقادير في اللوح المحفوظ . . وغاية ما في ذلك علم الله الشامل المحيط بما يقع في الكون من أعمال الخلق وتسجيله فيما يسمى باللغة التى يمكن ان نفهمها : (لوحا) تقريباً لهذا الأمر الغيبي من الاذهان ، والا فجلال الله وعظمته وما يتصل بعلمه وقدرته ، مما لا تدركه العقول ولا تتصوره الافهام، وكيف يدرك العقل وهو محدود الإدراك ، ما لا حد له ولا نهاية؟ وبحق ما أطلق عليه الفلاسفة اسم المطلق ، وقال فيه آخرون : العقل الاول !

اننا نقول للمؤلف : ان كانت العقول الالكترونية ، وهى من صنع البشر ، تعد الملايين والملايين من الأشياء وتضبطها ، فماذا يكون احصاء مسيرة الملايين من البشر بالنسبة إلى العقل الاول أو إلى المطلق ، وبالعبارة التى هى اعظم من كل ذلك ، بالنسبة إلى الله . . ؟ أما مقياس هذا اللوح ، فانظر إلى سعة الكون ، من الأرض والسماء والكواكب والمجموعات الشمسية والمجرات ، وعظمتها التى يصفها العلماء ، واستحضر عظمة خالقها وسعة قدرته ، وعندئذ تعرف مقياس اللوح أو السجل الذى يناسب هذا الخالق .

ولقد أصاب وعاظ المسلمين الذين تندرت بهم ، فيما قلت انهم يجيبون به ، من أن علم ذلك خاص بالله سبحانه، وهو جواب مقتبس من الآية الكريمة (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) .

ويكرر المؤلف كلامه السابق ، في بلادة لا تحتمل ، عن القدر والرزق والقسمة غير العادلة ، ويقول : ان القرآن يأمر المستضعفين ان لا يشكوا حالهم ولا

يحسدوا الاغنياء ، فقد جاء في السورة ٢٠ الآية ١٣١ قوله : (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) ولو كان لهذا المؤلف ضمير حى لتقبل هذا النصح بأحسن التقبل ، فإن هذه الحالة قائمة في كل المجتمعات ومنها الشيوعية ، وان خير ما تواجه به عدم التشوف إلى الغير ، واطمئنان الإنسان إلى ما عنده ، والا فإن ما يسببه لنفسه من انفعالات وما ينشأ عنده من الحسد لذلك الغير ، هو من الأدواء التي يصعب علاجها ، وما زال الحكماء من قديم يوصون الإنسان بأن ينظر إلى من فوقه في العلم والفضل وإلى من تحته في المال والجاه ، تفاديا لمثل هذه الحالة ، فالقرآن وهو كتاب ديني اخلاقي تربوى لا يمكن ان يشذ عن هذه القاعدة ليكسب المؤمنين به طمانينة النفس وراحة البال .

وقلت ان هذه الحالة لا يخلو منها حتى المجتمع الشيوعى ، وانا اعنى ما اقول ، فهل يستطيع ان يثبت لي سعادة السفير (رحماتوف) ، ان لباس زوجه وحليها هو ما تلبسه اى امرأة من عامة الشعب السوفياتي وتتحلى به إن كان لها حلى ؟ ! ودع عنك امرأة رئيسه وزير الخارجية ، وغيرها من نساء (الطبقة العالية) في الاتحاد السوفياتي ! . .

ويجمجم المؤلف بما يوجد في بيت المشائخ والبكوات من المؤن والطرف ، بحيث انها على حد تعبيره لا ينقصها الا حليب الطيور ، في الوقت الذى يطلب من الفقراء والمستضعفين الصبر على ما هم فيه من الحاجة والضيق ، كأن بيوت قادة الحزب ومسيرى تشكيلاته تخلو مما يوجد في بيوت من ندد بهم من المشائخ والبكوات او كانت بيوت العمال والطبقة الدنيا من المجتمع الشيوعى تحتوى على ما يوجد في بيوت من ذكرنا من رجال الحزب ! ولذلك فنحن لا ننكر التفاوت الموجود بين الفقراء والاغنياء من المسلمين ، وانما نحدثه عن حفلة استقبال اقامها زعيم نقابي كبير في (احدى) فيلاته ، قال الذين حضروها ان الكافيار كان يقدم فيها (بالكيلوات) في صحون (الصينى) مع العلم بأن ذلك كان في بلد لا ينتج الكافيار بل يستورده بأغلى الأثمان ، وحسبنا هذا لفتح بصر المؤلف الغيور . . .

ويأتي المؤلف بعد ذلك بفرية لا ندرى من اين استقاها وهى قوله : « إن

القرآن يحرم على المسلم العمل ويحل له التجارة » واذا كنا نتحداه ان يأتينا بنص قرآني أو إسلامى على العموم يصدق قوله هذا ، فإن في النصوص المتقدمة التى تحض على العمل وتطالب المسلم ان يسعى لكسب رزقه ، ما يكفى للرد عليه .
ثم نسأله : كيف انشأ المسلمون حضارتهم التى استمدت منها الإنسانية جمعاء ، واسسوا المدن ، وفتحوا اقطار العالم ، وحكموا الدنيا بالعدل والمساواة ، طوال عشرة قرون بل تزيد؟ هل كان ذلك بالتجارة فقط ؟ أم بالعمل الذى تقول ان القرآن يحرمه عليهم ؟ ! . .

وهو يبنى على ذلك فذلكة طويلة في الاشادة بالشيوعية وعمل الشعب السوفياتي الذى يؤمن بأن الشيوعية هى المستقبل الزاهر للإنسانية ، ويقول : « ان واجبنا هو الكفاح ضد هذه التركة الخاملة بجميع الوسائل ، لتسود الشيوعية في بلادنا اولا ، وبعد ذلك في البلاد التابعة لها ، ثم في جميع بلدان العالم ، كما اوصى بذلك المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعى السوفياتي . . » .

واذا كان لهذا الكلام من خلفية نستطلع منها ما يخفيه المؤلف ، فإنها المجابهة التى تلقاها الشيوعية من الإسلام في بلاد الاتحاد السوفياتي اولا ، واستعصاء تطويع الشعوب الاخـرى المبتلاة بسيطرة الحزب الشيوعى ثانيا ، وأما سيادة الشيوعية في العالم ، فإن بوارق إخفاقها في عقر دارها ، وخفض جناحها للإمبريالية الغربية ، مما يدل على انها حلم من الاحلام !

ويتمادى المؤلف في غروره فيقول : « النصر على جميع عناصر الطبيعة يحطم صرح الديانة ، والشعب السوفياتي الذى ليس له امل في الله يصنع الطبيعة بوسائله العلمية ، ان الفلاحين السوفيات قد اخرجوا ٢٠ ضربا من القمح من الانواع ٥٣ المعروفة ، ومربو الماشية قد استنتجوا ٤٠٠ صنف من جنس البقر و ٢٥٠ من الغنم و ١٥٠ من الخيل . ان هذه الانجازات تؤكد القوى الخلاقة للإنسان . وتنقض عناصر الكتب السماوية التى تحصر قدرة تغيير أجناس الحيوان والنبات في الله » .

لا يخامرنا شك في ان المؤلف انما ولى سفارة بلاده بإيمانه الأعمى بالشيوعية ،

لا بمؤهلاته العلمية ، والا فكيف يعتقد ان تحسين نوع من انواع النبات أو جنس من اجناس الحيوان بالتلقيح والتوليد هو تغيير للنوع والجنس ؟ وكيف يجهل ان ما فعله فلاحو السوفيات ومربو الماشية في الروسيا ، هو مما يفعله غيرهم في بلاد اخرى ؟ فاستخراج انواع جيدة من القمح هو مما يقع عندنا في المعهد الزراعى بالمغرب ، ولا نحتاج ان نذهب إلى بلد من بلاد اوربا وأمريكا . ولكن احدا عندنا حتى من الفلاحين البسطاء لم يفهم ان ذلك تغيير لجنس القمح . وتحسين نوع الماشية هو ايضا من هــذا القبيل ، وكم يعرض منه في معارضنا الفلاحية الموسمية ! هل حول البلاشفة الخيول إلى أناسى ؟ إلى رجال يفكرون ويعملون ؟ هل حولوا جنس البقر أو الغنم إلى نساء يحملن بأطفال بشرية ، ويقدمن عرضـــا للباليه في احد المسارح ؟ هذا هو تغيير الجنس ياسيد (رحماتوف) فأين انت منه ؟

عندنا كلمة حكيمة تقول : (في تلقيح الاجناس تحسين للنوع) وهى قديمة ، وقد جربها الفلاحون المسلمون منذ قرون وخرجوا منها بنتائج مضمنة في كتبهم التى وضعوها في علم الفلاحة ، التى نقلت إلى اللغات الاوربية واعتمدها العلماء في ابحاثهم وما تزال مرجع المؤلفين منهم في هذا العلم ، ومنها فلاحة ابن العوام وفلاحة ابي الخير وفلاحة ابن بصال وغيرها ، ومع ما كان لاصحابها من علم ومقدرة في ميدان التجارب الفلاحية ، فإن واحـــدا منهم لم يأخذ منه الغرور الماخذ الذى جعلك تقول ما تقـــدم من الكلام في جانب الالوهية وتتباهى تباهى الاطفال بلعبهم الملونة !

واليك هذه الحكاية من تاريخنا المغربي : كتب احد علماء مدينة فاس منذ ثلاثة قرون إلى احد علماء اقليم تافيلالت يسأله عن انواع التمر التى تنبت في بلده ، فأرسل اليه حمل بعير من التمر كل حبة منه من نوع لا يشبه النوع الآخر ، وكتب اليه بهذه الآية القرآنية : (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) .

كيف خلق الله العالم :

يستهل الكاتب هذا الفصل بعبارات مهلهلة في وصف جمال الطبيعة وسحرها الاخاذ . ثم يقول : « من منا لا يتساءل من اين يأتي هذا الجمال الباهر ؟ ولماذا يحيط بنا هذا الكون العجيب ؟ » ويقول : « ان الدين وهو يريد ان يرضى هذه الرغبة في الإنسان ، يحاول ان يفرض جوابه الخاص على كل من يبحث في سر الطبيعة . وفي هذا الصدد يؤكد القرآن ان الله قال « كن » فظهرت السماوات والأرض في لحظة واحدة ؛ وذلك حسب ما جاء في السورة ٦ الآية ٧٣ » .

ونبادر قبل الدخول معه في مناقشة مسألة خلق العالم ، فنقول : ان ما نسبه للقرآن في كيفية خلق السموات والارض ليس صحيحا ، والآية التى استشهد بها من السورة السادسة وهى سورة الأنعام ، لا تدل على ذلك اطلاقا ، اذ هى واردة في يوم القيامة، وهذا نصها (وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون ، قوله الحق ، وله الملك ، يوم ينفخ في الصور ، عالم الغيب والشهادة ، وهو الحكيم الخبير .) فأين ما زعمه الكاتب من تأكيد القرآن في هذه الآية ، لخلق السموات والأرض بكلمة «كن» وانها اى السموات والأرض ظهرت في لحظة واحدة ؟ ان هذا يخالف ما نص عليه القرآن بصراحة تامة في عدة آيات ، منها في سورة الأعراف قوله تعالى : (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) وقوله في سورة ق (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) .

نعم جاء في سورة النحل آية ٤٠ (إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وفي سورة يس ، آية ٨٢ (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وفي سور اخرى كثيرة ، ان قول الله عز وجل للشيئ كن . اذا تعلقت قدرته بايجاده ، كاف لوجوده ، وذلك عام في السموات والأرض وفي غيرها ، لكن وقوع النص في الآيـــات السابقة على أن خلق السموات والأرض

خاصة ، كان في ستة ايام(١) ، يخرجها من العموم ، وهو موافق لما في التوراة ، فهذا امر اجمعت عليه الديانات السماوية ، ولو شاء سبحانه لخلقها كذلك بكلمة «كن» الا ان الواقع هو مقتضى الحكمة الإلهية ، والمهم ان هذا الكاتب اخطأ في شئ معلوم لجميع الناس ، ونسب خطأه للقرآن . فإذا كان كلامه في امر واضح كهذه القضية ، على هذا المنوال ، فكيف يكون في غيره ؟ وما قيمة مطاعنه في القرآن اذن وهو ينسب اليه ما ليس فيه ، بل ما يصرح القرآن بخلافه في مواضع كثيرة منه ؟ . .

ويتابع المؤلف كلامه قائلا : «وخلق (يعني الله عز وجل) السموات السبع طبقات» كما في السورة ٦٧، الآية ٣ (يريد قوله تعالى في سورة الملك : الذى خلق سبع سموات طباقا) في حين ان الأرض ، بحسب القرآن سطح غير متحرك ، مثبت بجبال عالية لحفظ توازنه (السورة ١٦ الآية ١٥ والسورة ٥١ الآية ٤٨) ويردف ذلك بقوله : «هذه تصورات ساذجة مستحيلة» .

ونلاحظ بادئ ذى بدء ان قوله مثبت بجبال عالية لحفظ توازنه ، يناقض قوله غير متحرك ، فمقتضى تثبيتها اى الأرض بالجبال انها متحركة ، ففى كلامه نقض لما طعن به في القرآن . والآية ١٥ من السورة ١٦ وهى سورة النحل تفيد ذلك بغاية الوضوح ، قال تعالى : «وألقى في الأرض رواسى أن تميد بكم» الرواسى : الجبال الثابتة ، جعلها في الأرض لئلا تميل بمن فيها إلى جهة دون اخرى. ولو كان المؤلف يدرك دقائق المعاني لكان في تعليله لوجود الجبال على سطح الأرض بحفظ توازنها ما يكفى للدلالة على انها متحركة . . على ان مجرد الاشارة لهذا المعنى في الآية الكريمة هو معجزة علمية للقرآن بموافقته لآخر ما يقوله العلم الطبيعى في عوامل تكوين الجبال ، وهذا ما جاء في الموسوعة العربية الميسرة في الموضوع بعد استعراض عدة آراء :

---

(١) لم نتعرض للايام هل هى من ايام الدنيا وان كانت لم توجد بعد أو من ايام الله التى يقول فيها (وإن يوماعند ربك كألف سنة مما تعدون) لان الرد على المؤلف يكفى فيه القول بأن خلق السموات والأرض لم يكن بكلمة كن كما زعم .

« وهناك فرض احدث من ذلك يقول بأن الحركات الأرضية هى حركات ايزوستاتيكية اى خاصة بحفظ التوازن من حيث الثقل بين القطاعات المختلفة من قشرة الأرض(٢) » .

اما الآية ٤٨ من السورة ٥١ وهى سورة الذاريات ، فتقول : (والأرض فرشناها فنعم الماهدون) اى مهدناها لكم بحيث تفترشونها أو فرشناها لكم فاتخذتموها مهدا ، على الرغم من انها شبه كرة متحركة ، فالكلام فيها خارج مخرج الامتنان بما ذكر ، ولو كانت مسطحة لما صح هذا الامتنان ، لانه لا عجب حينئذ في ان تكون ممهدة مفترشة . فهذه الآية هى كمثيلتيها في هذا المعنى ومعنى التى قبلها ، من سورة النبأ اللتين تقولان : (ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا) وبه يظهر انه لا دليل فيها على ما زعمه المؤلف من تسطيح الأرض وهو لن يجد في القرآن دليلا على ذلك ، بل العكس هو الذى يستفاد من بعض آياته الكريمة كآية الزمر (اى السورة ٣٩) التى لم تفهم على حقيقتها الا بعد ثبوت كروية الأرض علميا وهى القائلة : « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) فعبرت ، وهى تشير إلى ظاهرة الليل والنهار المتكونة من دوران الأرض على نفسها ، بما لا يمكن حمله الا على انها كروية الشكل .

واذا تبين ان ليس في القرآن شئ مما ألصقه به هذا المؤلف من مخالفته الحقائق العلمية ، لا نملك الا ان نرمى بمفترياته في وجهه ، ونقول : قبح الله الجهل ! . .

بعد هذا يتمادى الكاتب في مماحكاته فيقول : « ان عددا كبيرا من الناس كانوا يؤمنون بهذا كله ، وماتوا وهم لا يعرفون الحقيقة ، ومنهم من يؤمن بهذه الاساطير في يومنا هذا ، اى في عصر الطائرات التى تفوق سرعتها سرعة الصوت ، والصواريخ التى تشق اجواء الفضاء والرواد الذين رأوا بأعينهم الدائرة الزرقاء لكوكبنا الأرضى وهم يقودون مركباتهم الفضائية » ونحن نقول له : ان كان يقصد الإيمان بأن الله هو خالق الكون فسيبقى ذلك هو عقيدة الناس كلهم ، اليوم

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ص ٦١٢ مادة جبل .

وغداً وإلى ان ينتهى هذا العالم ، لانه هو الحقيقة التى لم يأت بما يبطلها ، وان هول بما ذكره من مخترعات العصر ، بل لم يأت بشىء اصلا مما يتعلق بخلق العالم ، وان اثبت ان الناس سواء كانوا مسلمين يعتقدون بالقرآن أم غير مسلمين ، ماتوا وهم يؤمنون بتلك الحقيقة ولم يصد الاحياء منهم عن الإيمان بها ، ما وصفه من وسائل غزو الفضاء ، والتحليق بأعلى المستويات ، فإن ذلك لا يعدو ان يكون مثل استكشاف أمريكا التى لبثت قرونا عديدة مجهولة من طرف جميع سكان العالم القديم . ولم يغير ظهورها من حقيقة الإيمان شيئا . . وان كان يقصد بعض الاساطير المتعلقة بصفة الأرض والسماء ككون الأرض ثابتة وهى مركز العالم ، والسماء قبتها وما إلى ذلك ، فهذا شيء منشؤه الجهل والإيمان بالخرافات وهو شائع في جميع الشعوب والامم ، نامية كانت أو متخلفة الا انه لا يجوز بحال نسبته إلى الإسلام وكتابه المجيد ، كما فعل الكاتب بدافع الكراهية والتعصب . ونستطيع ان نشبهه بما حصل للرائد الفضائي جاجارين حين قال انه صعد إلى السماء ولم ير الله ، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . فهذا قد وقع في خطأ كبير مثل اى عامى جاهل ، لظنه ان السماء التى تتحدث عنها الاديان والتى هى مقر الملائكة وفيها عرش الرحمن ، هى هذه الناحية من الفضاء التى حلّق فيها ، ولعلها لا تبلغ ان تكون قدر سم الخياط بالنسبة إلى الكون الفسيح ، فيا للغرور ! بل الجحود الذى هو اقبح من الجهل ! والا فإن الرواد الأمريكان وقد بلغوا ما لم يبلغه جاجارين ، حين رأوا عظمة الكون ، لم يملكوا الا ان يصلوا ! . .

ونسجل على المؤلف انه يطعن في فكرة خلق الله للعالم ، وانه عوض ما يأتي بما ينقضها ، يقول : ان عددا كبيرا من الناس ماتوا وهم لا يعرفون الحقيقة كأن حضرته عرفها ، وينتقل بكل سهولة من هذا الموضوع الاساسى إلى موضوع الطيران وريادة الفضاء ، كأن هذه هى الحقيقة الكبرى ، التى تكشف الخفى من سر خلق العالم ، فأقل ما يقال على صنيعه هـذا هو انه يراوغ قارئه لكى ينسى اصل المسالة ، ولعله لا يعلم ان الانتقال من موضوع إلى موضوع ، يؤذن بالافحام كما تقرر في علم ادب البحث والمناظرة ! . . فقد حكم على نفسه من حيث لا يشعر ، بأن ما يكتبه انما تمليه عليه شيوعيته اى عـداوته للاديان لا غير ! . .

واندفاعا في هذا السبيل يستمر قائلا : « وخلافا للقرآن الذى يؤكد ان الله احتفظ عنده بسر خلق السموات والأرض وسائر العالم ، فان العلم اصبح يكشف شيئا فشيئا نواميس الكون ، ويقتحم حجب اسراره الخفية » وهذه فرية اخرى يضيفها إلى مفترياته على القرآن الكريم ، فالقرآن لم يقل شيئا مما ذكره ، بل على العكس نبه إلى اصل الخلق فقال في مادة السماء : « ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا أتينا طائعين. فقضاهن سبع سموات » وقال في إنشاء الأرض : (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) وقال في خلق الإنسان وسائر الحيوان : (وجعلنا من الماء كل شئ حيّ) إلى غير ذلك من الآيات البينات الواردة في تكوين الشمس والقمر والنجوم والكواكب والنبات والجبال والبحار والانهار ، ولم يحجب سبحانه وتعالى شيئا من اسرار الخليقة بل أمر بالبحث عنها والتعمق في دراستها للاستدلال بها على وجود الخالق وعظيم قدرته ، وبديع حكمته ، فقال في سورة العنكبوت : « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) فحث على النظر في الخلق وكيفية بدئه . وقال في سورة اخرى : (وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) فعاب على من لا يعتبرون بآيات الله في السموات والأرض اعراضهم عنها وعدم تفكيرهم فيها وقال في سورة فصلت : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » فأعلم بما يظهر من اسرار الكون ونواميسه ، للعلماء الباحثين ، فهم انما يعملون بتعاليم القرآن ويمتثلون أوامره . . ومع هذا كيف يصح ما قاله المؤلف ؟

ويفرغ المؤلف جعبة حقده على القرآن فيقول : « ان اتباع القرآن قتلوا عددا من العلماء ومن اعـــداء القرآن ، ففى القرن الخامس عشر قتلوا بوحشية في اوزبيكستان اولوغ بك لمجرد انه بنى مرصدا فلكيا ، وفي سنة ١٩٢٧م قتل في اوزبيكستان ايضا حمزة حكيم زادة لفائدة حفاظ القرآن وكان استاذا شاعرا يعلم تلاميذه اسرار الطبيعة وقوانينها » .

وفي هذا الكلام افتراء عظيم على الحقيقة والتاريخ بفاولوغ بك ، من اعظم

رجالات الإسلام . امير عالم ، كان يحفظ القرآن ويجوده بالقراءات السبع ، وانشأ في سمرقند مرصده الشهير وشارك العلماء في اخراج زيجه الذى بقى معمولا به عند علماء الشرق والغرب عدة قرون لدقة حساباته وارصاده ، وكان اغتياله بمؤامرة من ولده لأسباب سياسية لا علاقة لها بالقرآن ولا بالدين اصلا(٣) .

ولم يعرف في تاريخ الإسلام اضطهاد للعلماء من طرف حفاظ القرآن . وانما العكس هو الذى وقع مع الاسف في عهد الخليفة المامون حين اضطهد فلاسفة البلاط الإمام أحمد بن حنبل أعظم مدافع عن القرآن . واما الشخص الثاني الذى ذكره المؤلف ، فاننا لا نعرف عنه شيئا ، ولكننا نجزم بأن قتله ، ان كان قتل حقا لم يكن بيد حفاظ القرآن ولا بإيعاز منهم ، لانهم اليوم في الاتحاد السوفياتي قلة ، وهم اضعف من ان يقدموا على عمل مثل هذا لما يخضعون له من مراقبة صارمة وما يلقونه في نطاق محاربة رجال الدين من مضايقات . . ولا استبعد ان يكون قتل في حملات التصفية لاعداء الشيوعية على عهد ستالين ، فاضطهاد رجال الفكر والعلم الاحرار في الاتحاد السوفياتي امر غير مجهول ، وما عهدنا بمطاردة باسترناك وسولجينستن الكاتبين السوفياتيين الشهيرين ببعيد ! . .

والمؤلف الذى لا يترك شاذة ولا فاذة في التشنيع على القرآن الا ذكرها ، يحكى عن خطيب مسلم في فولكوكراد انه في احد الاعياد الإسلامية عام ١٩٦٠م خطب المسلمين فقال : ان صواريخ الفضاء والاقمار الصناعية ليست من صنع المسلمين الروس لان القرآن يحرم صنع ذلك . ونحن لا ثقة لنا بما يرويه هذا المؤلف بعد ما جربناه من تحريفه للتاريخ وتجنيه على الحقيقة ، ولكنا نجاريه في كلامه فنقول ان القرآن لم يحرم شيئا من ذلك ، بل امر باتخاذ جميع وسائل القوة واسباب العلم ، فهو يقول في سورة الأنفال : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وفي سورة طــه : (وقل رب زدني علما) ثم ان هذا الخطيب ان كان قال هذا الكلام حقيقة ، لا يكون حجة على القرآن ، فقبله أنكر غير واحد من العلماء الاختراعات الجديدة ، ولم يعب احد بذلك دينهم وامتهم فهذا العالم (بوبو)

(٣) تنظر ترجمته في دائرة المعارف الإسلامية ج ل حرف ا .

عضو المجمع العلمى الفرنسى لما قدم اديسون الفونوغراف إلى هذا المجمع سنة ١٨٧٨م صاح في وجهه: تعسا لك اننا لا ننخدع بمشعوذ مثلك(٤) ، ولما حلل الكيماوى الكبير لافوازييه الهواء إلى عنصريه: الاوكسجين والازوت ثار عليه زميله الشهير (بوميه) وقال : ان العناصر المكونة للاجسام قد اعترف بها الطبيعيون في جميع العصور ، وليس من المحتمل ان توضع في عداد العناصر المركبة(٥).
ولا نكثر بمثل هذين المثالين ، فان اوربا وامريكا اليوم تعج بالمدنيين فضلا عن القسس والرهبان الذين يشكون في صحة الرحلات الفضائية والاختراعات الغربية ، فما الظن بخطيب مسلم في بلاد يحارب فيها الإسلام وليس فيها تعليم ديني ، ولا بد ان يكون اختياره من طرف رجال السلطة الذين لا يرضيهم الا من كان على شاكلته ؟ ! ثم يقول الكاتب : « ومع ذلك فقد ظهر لأتباع القرآن بعد توالى الاختراعات العلمية انه ليس هناك مقعد لا للقرآن فحسب بل لله نفسه . وهناك حيث كان يجب ان يوجد الله ، بحسب القرآن لم يجد رواد الفضاء الا قطعا صغيرة من الحجارة » ولا ادرى مم اتعجب ؟ امن غرور هذا الكاتب ام من غباوته ؟ فهو لجهله المطبق لم يعرف ان العلماء من قبل نزول القرآن ومن بعده ، كانوا يخترعون الاشياء العجيبة التى مهدت لاختراعات عصرنا ، ولم يقل احد منهم ولا من جهال عصرهم مثل ما قال هذا المغرور ، انه لا مكان هناك لله ولا لكتاب من كتبه بموجب ما دلت عليه الاختراعات العلمية ، وانما الذى ثبت عنهم وخاصة منهم علماء الإسلام ، انهم كانوا يبرهنون بعلمهم واختراعاتهم على وجود الله وقدرته الباهرة . ومن جهة اخرى فقد ظن هذا الغبي ان القمر الذى هو احد الكواكب السيارة من مجموعتنا الشمسية ، هو السماء التى سيجد الرواد الله عز وجل فيها ، ومن ثم فإنهم لما لم يجدوا الا اشياء مادية قال بعدم وجوده تعالى عن قوله علوا كبيرا . وما من شك في ان الحامل له على هذا القول زيادة على الكفر والالحاد ، انه يتصور الإله صنما او وثنا أو صليبا ، وحيث ان القمر ما يزال طاهرا من

---

(٤) على أطلال المذهب المادى لفريد وجدى ج ٣ ص ٦ .
(٥) المصدر نفسه ص ٦ — ٧ .

آثار الوثنية واتباعها ، فبالضرورة لا يوجد فيه إله مما يعهده الرواد ! . . وهو إله نعلن مسبقا كفرنا به حتى لو وجدوه !

بعد هذا يأتي المؤلف بفذلكة يقول فيها : ان علماء الكونيات والفلك وطبقات الأرض والكيمياء اثبتوا ان الأرض والكواكب الاخرى ، (والسماء نفسها) تتركب من عناصر كيماوية متشابهة : الأدروجين ، الفحم ، الاوكسجين ، الحديد . . الخ وما بينها من فوارق هي انها تارة تكون جامدة وتارة سائلة أو غازية ، وليس في هذا العالم شئ الا المادة الخاضعة لقوانين الطبيعة لا إله خيالى ! . . والذى نقوله على كلامه هذا هو انه عاد فأقحم السماء في مجالات بحث العلماء ، فان كان يريد مدلولها اللغوى فهى داخلة في الكواكب والفضاء العالى ولا داعى لتخصيصها بالذكر ، وان كان يريد السماء بالمعنى الدينى ، وهو مـا يقتضيه نصه عليها بالخصوص ، فمن هم العلماء الذين عرفوها وكانت موضع بحثهم حتى اثبتوا انها تتألف من العناصر التى ذكرها ؟ ثم ما هى هذه الطبيعة التى يخضع لها العالم المكون من المادة الصماء ؟ أليست هى شيئا اقل من ان يوصف بخيالى ؟ ولو سلمنا جدلا انها شئ موجود ، فلا بد ان تكون هى هذه العناصر التى يتكون منها العالم ، فهل أوجدت نفسها بنفسها ؟

وما احسن قول أبي المظفر :

وقالوا : الطبيعة مبدا الحياة	فياليت شعرى ماذى الطبيعـة ؟
أقـادرة طبعت نفسهـا	على ذلك ؟ أم ليس بالمستطيعـة ؟

والمؤلف هنا يخلط بين العلوم ومواضعها ، فكما اقحم المادة التى تتركب منها السماء في ابحاث العلماء وهم لا يعرفونها ، كذلك يجعل دليل وجود الله عز وجل من مباحث العلم الطبيعى التجريبي وهو خطأ فادح ، لأن الله جلت عظمته ليس من عناصر الطبيعة وموادها التى تخضع لتجارب العلماء ، حتى يكون عدم وقوف هؤلاء على عنصر غير طبيعى ، دليلا على عـدم وجوده تعالى . وتصبح فكرة الإله فكرة خيالية ، ان الاستدلال على وجود الله انما طريقه النظر العقلى ، لا العلم التجريبي ، وكثيرا ما يهول الملاحدة والجهال السائرون في

ركابهم بقولهم ان العلم لا يعترف بوجود الله ، وهم ان كانوا يريدون العلم الطبيعي فاننا نقول لهم ان وجود الله ليس موضوعا لهذا العلم ومن الجهل ان تجعل التجارب الحسية سبيلا لمعرفة ما وراء الطبيعة(٦) ، وان كانوا يريدون العلم باطلاق فاننا نحيلهم على علمى الفلسفة واللاهوت، وموضوعهما الاساسى هو مسالة وجود الله ، ومجال النظر فيهما هو الادلة العقلية كما لا يخفى ، وهذا مطاب لا يدركه المؤلف فلذلك نراه يلقى بالكلام على عواهنه ، ويظن أنه صنع شيئا ، فينهى كلامه السابق بأن هذا ما يقوله العلم في كيفية خلق العالم ، فيحطم الخرافات الدينية القائلة بخلق الله له ! . . وما حطم المسكين الا نفسه لان العلم الذى يقصده بعيد عن هذا الموضوع ، كما قلنا ، لا يتعرض له بنفى ولا اثبات ، وان كان أصحابه والمتعمقون فيه كثيرا ما ينبهرون أمام قدرة الخالق وحكمته العجيبة ويطأطئون رءوسهم لجلاله تعالى ! . .

ويكرر الاستدلال بالآية ٧٢ من السورة السادسة على مخالفة القرآن لما يقرره العلم في خلق العالم، وقد بينا له ان هذه الآية واردة في يوم القيامة ، وان خلق السموات والأرض كان في ستة ايام بنص القرآن في آيات متعددة، ثم يقول: ان مقتضى خلق الله السموات والأرض بكلمة «كن» انه لم يكن شيء ، فمن اى مادة خلقهما ؟ ومع تأكيدنا مرة اخرى لأن خلق السموات والأرض لم يكن بكلمة «كن» وان المؤلف يكذب حيث ينسب ذلك للقرآن ، نقول : اننا حين ننسب خلق اى شيء إلى الله عز وجل سواء كان ذلك بكلمة «كن» أم بغيرها نفهم بكل بساطة انه تعالى خلق ذلك الشيء وخلق المادة التى يتركب منها ايا كانت ، ومن السخف بعد ان نعرف مصمم العمارة وبانيها ان نتساءل من اى مادة بناها ؟ فأسئلة بليدة من هذا القبيل يوزدها كاتب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن انما تدل على عقليته الجامدة ! .

وينتقل إلى خلق الإنسان فيقول : «ان خرافة خلق الإنسان ونفخ الروح فيه واعطائه السمع والبصر والفؤاد ، هى كذلك مناقضة للعقل» وسنرى انه لا

---

(٦) موقف العقل والعلم من رب العالمين لشيخ الإسلام مصطفى صبرى ج ٤ ص ١٠٩ .

يبين هذه المناقضة وانما يمضي متعسفا في ظلمات المجهول ليأتينا بخرافة تخلق الإنسان من القرد التي اكل الدهر عليها وشرب ،فلنتبع خطاه في هذا المضمار .

انه يذكر ما جاء في القرآن من ان الإنسان خلق من ماء دافق ومن تراب ومن طين لازب ، ومن صلصال من حمأ مسنون ، وهي عبارات مختلفة كثيرة في القرآن ، وزعم المؤلف انها سبعة وهي اكثر من ذلك . ولما كان بعيدا عن بيان العربية وبلاغتها وهو انما يقرأ القرآن في ترجمة مهما تكن صحيحة لا تؤدي معنى النص الاصلي ، ظن ان هذه اختلافات جوهرية ، وصار إلى القول بأن ذلك تناقض يرفضه العقل ، وما درى ان ذلك من تفنن القرآن في التعبير وتأديته للمعنى الواحد بألفاظ مختلفة ، لئلا يقع السأم من تكرار نفس الكلمة ، وهذا مقصد من مقاصد البلاغة العربية معروف لأهله ، فلا يلتفت إلى الأعاجم والجاهلين بأسرار اعجاز القرآن ، فيما يقولونه بهذا الصدد ، لاسيما والمؤدى مع اختلاف العبارات واحد لا شك فيه ، فاذا قال القرآن ان الإنسان خلق من طين وقال انه خلق من صلصال من حمأ مسنون ، مع العلم بأنه قال ايضا « وجعلنا من الماء كل شئ حي » فان ذلك كله يرجع إلى الماء والتراب ، وهذا ما لا يختلف فيه مع ما يقرره العلم في تركيب الإنسان ، فكيف يختلف مع نفسه ؟ .

واذا كان هذا مما خفي على المؤلف لعدم فهمه للنصوص القرآنية ، فان ما بناه على ذلك من ان القرآن ينسب اختلاف السلالات الإنسانية من حيث الألوان ، إلى اختلافات لون الطين الذي صنعت منه ، هو كذب صراح ، اذ ليس في القرآن شئ من هذا الهذر الذي يتفوه به من غير خجل ولا حياء ، ويسود به بياض الصحف ، وكل ما في الكتاب العزيز مما يتعلق بهذا المطلب ، هو قوله تعالى في سورة الروم (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) وقوله في سورة فاطر (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء) . وما كان على هذا المنوال مما يبعث على التفكر والاعتبار بأنواع المخلوقات ولا تعرض فيه اصلا لما زعمه المؤلف .

ويقول بعد ذلك : « العلم يؤكد ان الإنسان وليد الطبيعة ، لم يخلقه احد ، وانه تطور خلال ملايين السنين منذ كان قردا حتى صار انسانا وان علم التشريح وعلم الاجنة وعلم الآثار واصل الإنسان وعلوما اخرى تثبت هذه النظرية بتجارب ونتائج مقنعة » ثم يفيض في شرح نظرية النشوء والارتقاء التى ينبنى عليها القول بانحدار الإنسان من القرد. ونحن لا ندخل معه في جدل حول هذه النظرية التى هى في الاصل مجرد افتراض لا اقل ولا اكثر ، ولم يستطع صاحبها (داروين) نفسه ان يجعل منها حقيقة علمية ثابتة . وقد اصبحت من المذاهب المنتقدة في الوقت الذى ظهرت فيه اى القرن التاسع عشر ، وانما بقيت الالسنة تلوكها حبا بالاغراب والشذوذ ، ولاسيما من صغار المتعامين الذين يتعدون بها حدودها ، ولكنا ننقل ما يقوله العلماء في إبطالها :

جاء في دائرة معارف القرن العشرين : ان اقدم الحفريات التى درسها العلماء هسكلى وجون لبوك وفوغث وشافوزن ، تدل على ان الإنسان لا نسبة بينه وبين القردة في شئ ، وقد اكد ذلك العلامة (لاريت) الاختصاصى في درس الجماجم الإنسانية . وان اقدم البقايا البشرية التى وجدت في مغارات انجيس ونندرتال بأوربا لا تدل على ادني فرق بينها وبين الإنسان الحالى الا في محجرى العينين المحاطين ببروز خفيف كما هو الحال عند القردة فاذا كانت الالوف من السنين التى تفصلنا عن اصحاب تلك البقايا لم تؤثر أدني تأثير في تبديل خلقة الإنسان ، فكم يلزم ان يكون مضى من ملايين السنين بعد انتقال الحيوان الادني من حالته السفلى إلى رتبة الإنسانية العليا ؟(٧) .

واكثر ما ينتقد العلماء على هــذه النظرية هى صفة العموم التى تعطى لها ، ولذلك يقول جوستاف جوليه : « ان هذا المذهب باطل من جهة كونه نظرية عامة ، لانه يعجز عن بيان الحوادث الاكثر قيمة التى تستدعى تغيرات اصلية ، وهى تغيرات مباشرة لا مجموع تغيرات تافهة بطيئة . . فكيف استطاع الحيوان الزاحف وهو سلف العصفور (يعنى في نظر التطوريين) ان يتناسب والبيئة التى

---

(٧) دائرة معارف القرن العشرين ج ل ص ٧٠٢ – ٧٠٣ .

ليست له ، ولا يمكن ان تكون له الا بعد ان يتحول من صورة حيوان زاحف إلى صورة عصفور . فكان لا يستطيع قبل ان تكون له اجنحة نافعة لا اثرية ، ان تكون له حياة هوائية وان يتناسب معها . . كذلك لا توجد اية علاقة من جهة علم الحياة بين الدودة التى تمثل حالة ما ، الصورة الاولى للحشرة الاولية وبين الحشرة الكاملة ، ولم يصل احد إلى ادراك تلك السلسلة الغامضة التى امكن بها لحشرة تعودت الحياة الدودية تحت الأرض أو في المياه ان تصل شيئا فشيئا إلى ايجاد اجنحة لجسمها تصلح لحياة هوائية بعيدة عنها بل مجهولة منها(٨) » .

ومثل ذلك يقال في ترقي الإنسان من حياة القردة إلى الحياة الإنسانية ، ولهذا لم يملك الدكتور (جمس) نفسه ان يقول في كتابه الداروينية « ان مذهب داروين اسطورة مضحكة »(٩) . ولا ننهى الكلام في هذا الموضوع دون ان ننبه إلى المغالطة التى ارتكبها المؤلف في تناوله ، فهو كان بصدد بيان التناقض في نصوص القرآن المتعلقة بخلق الله للإنسان لكنه انما اتي بنظرية التولد الطبيعى المعتمدة على مذهب داروين في تسلسل الإنسان من القرد على ما فيها من البطلان ، ومع ذلك فنحن نجاريه في قوله ونسأله : من الذى خلق القرد ؟ اهو الاتحاد السوفياتي ؟ .

لا شك ان المؤلف لو كان بوسعه ان يجيب عن ذلك السؤال بهذا الجواب لما تردد لحظة . لان ايمانه بالشيوعية والاتحاد السوفياتي اقوى من ايمانه بالحقائق العلمية والبدائه المسلمة ! . . . وعلى كل فقد بقى السؤال الاول وهو من خلق العالم وفي ضمنه الإنسان ؟ بدون جواب . وماذكره هذا المؤلف وما يذكره غيره في التولد الطبيعى انما هو وصف لنمو المادة وتحولها بعد وجودها . وما احسن ما قاله العالم الشهير مونتسكيو ردا على هؤلاء الماديين « ما ابعد ان تكون قدرة عمياء خلقت ذوى العقول ! » (١٠) .

بعد هذا لا يأتي المؤلف بشيء يستحق النظر ، وانما يهول بكلام هو اشبه

(٨) على اطلال المذهب المادى ج ل ص ٩٤ — ٩٥ .

(٩) قصة الإيمان لنديم الجسر ص ١٩٤ .

(١٠) موقف العقل والعلم من رب العالمين ج ل ص ١٤٧

بكلام العوام ينعى فيه على المؤمنين ايمانهم بما يقول الدين في مسألة الخلق ، وينكر وجود الروح ومصير الإنسان بعد الموت .

ويقول ان فقهاء المسلمين يزعمون ان الارواح تجتمع في قرن كبير لثور — ولم يصفه بكبير — وعند نهاية العام ينفخ جبريل في هذا القرن فتخرج منه جميع الارواح وتلتقى بأجسادها في المقابر ! . . ولعل المؤلف تلقى هذه المعلومات من حلقات المشعوذين الذين يجتمعون في الاسواق ويلتف حولهم العاطلون والحشاشة والمعاتيه ! .

ويقول إثر ذلك : « ان العلم يتقدم إلى حد انه اصبح من الممكن إعادة الحياة إلى الميت ، وأهل الاختصاص يعرفون عددا من الاموات أعيدت لهم الحياة » ونحن من باب الجدل نؤمن على قوله لنسأله : ولماذا لم يعيدوا الحياة إلى لينين؟ بل لماذا لم يمنعوا تناقص أطرافه ، كما يبدو في تابوته الزجاجى وقد طال احد كمى سترته عن يده ؟ .

وهنا نتذكر قوله تعالى في سورة الحج (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوىٌ عزيز) .

ثم يعود إلى ثرثرة العوام فيقول : « اذا كانت الملائكة تفعل الخير والشياطين تفعل الشر فماذا يفعل الله ؟ » ونجيبه على قدر عقله مقتصرين على شيْ واحد من افعال الله فنقول له : « انه تعالى يجازى العاملين بأعمال الملائكة فيجزل ثوابهم ويعاقب العاملين بأعمال الشياطين فيضاعف لهم العذاب ! » .

ولا يمل من تكرار مسألة القدر ، ويتساءل لماذا يعذب الله البشر وهو الذى يدفعهم إلى ارتكاب الاثم ؟ والمسألة قد اثارها مرارا وأجبنا عنها بأن الإنسان مخير غير مجبر ، وكما اعطاه الله القدرة على فعل ما اختاره من الشر كذلك اعطاه القدرة على فعل ما يختاره من الخير ، فهو المسؤول الوحيد عن عمله ، ولكن عراض القفا مثل المؤلف لا يفهمون الاجوبة المعقولة ، فنجيبه على قدر فهمه

بجواب محسوس ضمن سؤال ، وهو لماذا يحارب الاتحاد السوفياتي والشيوعيون على العموم غير الشيوعيين ويشددون عليهم العقاب ، حتى يسلبوهم حريتهم الشخصية في التدين والتملك والاتصال بالعالم الخارجي لغاية انهم منعوا كاتبا مجازا بجائزة دولية ان يذهب لتسلم جائزته ؟ ان الله لم يمنع الإنسان من حريته حتى في ان يعصيه ، وبعد ذلك فهو إلى عدل الله ورحمته ، ان شاء عاقبه وان شاء غفر له ؛ فما اعظمه من إله ! . .

القرآن ضد السلم والصداقة بين الشعوب :

هذا بالترجمة الحرفية هو عنوان الفصل السادس عند مؤلف آخر زمن ، ولا أقول ، آخر القرن العشرين ، فهذا قرن يوصف بأنه عصر العلم والنور والمعرفة ، ولكن هذا المؤلف يعيش في غياهب الظلام وكأنه جاء بعد حرب عالمية طاحنة شنتها **الدول النووية المحبة جداً للسلام** ، فانطمست معالم الحضارة ، وخربت مراكز الثقافة ولم يبق هناك قرآن ولا برهان ، يستدل به على حقائق الاشياء وخفيات الامور ، فلو انه إنسان يعيش في مستوى عصره ، وكان على جانب من الاطلاع يليق بما يشغله من منصب ديبلوماسي لدولة عظيمة مثل الاتحاد السوفياتي لما تفوه بهذا الكلام الساقط الذى تعود معرته عليه وعلى الدولة التى يمثلها تمثيلا لا يشرفها .

فليعلم أن القرآن دعوة عالمية للسلام لم تعرف الإنسانية قبلها ولا بعدها دعوة مثلها ، وحسب ما وصلت اليه الامم المتحدة الآن ، انها تحاول تطبيق ما دعا اليه القرآن منذ أربعة عشر قرنا ، لاقرار السلام ومنع الحروب في الآية الكريمة التى تقول : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » فنحن نرى أن القرآن يوطد أركان السلم حتى بالحرب ان اقتضى الحال ، وذلك ما لم تصل اليه الامم المتحدة بعد ، فهى تختلف في هذه النقطة وتدع الشعوب تتناحر ، والقوى يأكل الضعيف ، وبذلك

لم تتمكن قط من اقرار السلام العالمي ، ولم تستطع منع العـدوان من الدول المنتمية اليها ولو بالوسائل السلمية كالمقاطعة والطرد بل القتال والحرب .

ودعا القرآن أتباعه إلى السلم دعوة عامة غير مقيدة بشرط فقال : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعـوا خطوات الشيطان» فجعل الحرب من عمل الشيطان . ومعلوم ان المسلمين بعد البعثة النبوية أقاموا في مكة ثلاثة عشر عاما يعانون ما لا يحتمل من اضطهاد المشركين لهـم وتعذيب المستضعفين منهم حتى هاجروا إلى الحبشة هجرتين اثنتين ، ثم هاجر من بقى منهم إلى المدينة وهاجر اليها كذلك النبي نفسه، ومع هذا لم يقاوموا ولم يقابلوا العدوان بمثله، وكانوا يتشوفون لذلك والنبي صلى الله عليه وسلم يصبّرهم ويقول لهم لم يؤذن لي في القتال، حتى نزلت عليه هذه الآية القرآنية الكريمة : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور » .

فانظر كيف جاء الإذن للمسلمين بالقتال لأجل دفع الظلم ، وهذا امر تقره جميع الشرائع وتأخذ به كل الشعوب ، ومنها الاتحاد السوفياتي الذى شارك في الحرب العالمية الثانية اولا بجنب النازيين وثانيا بجنب الحلفاء وضحى حسب قولهم بعشرين مليونا من أبنائه ، وهو عدد يكاد لا يبلغه ما جنده المسلمون في جميع حروبهم على مدى التاريخ ، ومما لاحظناه مرارا في كتاباتنا ان المسلمين كانوا دائما يشترون السلاح من الاجانب وخاصة الافرنج ، حتى في أوج حضارتهم وعنفوان قوتهم ، وما ذلك الا لأنهم لم يكونوا أبدا دعاة حرب ولا سماسرة سلاح ، كما هى الآن وقبل الآن الدول التى تتمشدق بالدعوة إلى السلم وصداقة الشعوب .

وانظر ايضا كيف جعلت الآية القرآنية غاية الحرب هى حماية الحريات

العامة ، ومنها حرية الاعتقاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهذا ما لا ملاحظة له في حروب الدول العظمى اليوم التى لا غاية لها الا بسط سيطرتها على الشعوب الضعيفة واستغلال ثرواتها الطبيعية لفائدة أبنائها المترفين .

ثم ان القرآن بعد ذلك جعل السلام هو المؤثر لاستمرار الحرب أو ايقافها حيث قال : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » وهذا على سبيل العموم كما جاء في الآية الاخرى « فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا» اى انه لم يشترط للكف عن القتال قبول العدو لدعوته بدليل الآية الصريحة في الموضوع وهى : «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا » .

فليقارن مؤلف كتاب « هل يمكن الاعتقاد بالقرآن » هذا بحرب الاكتساح التى شنها الاتحاد السوفياتي أخيرا في عهد تفتحه وتسامحه على تشيكوسلوفاكيا وهى حليفته واحدى الدول التى تدور في فلكه ، لما آنس من بعض قادتها محاولة الخروج من الحجر وفك قيود الاستتباع ، وليقل لنا من هو الذى ضد السلم وصداقة الشعوب ؟ .

وهنا تخطر في بالنا حادثة (هيس) رسول السلام الالماني الذى اعتقل في بريطانيا وحوكم ، وقد بلغ الآن من الكبر عتيا ، وما يزال الحلفاء دعاة السلم وحماته يمانعون في اطلاق سراحه ، فنقارنها بما سبق ذكره وبقوله تعالى لنبيه في مثل حاله : « وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون » وما درج عليه المسلمون تطبيقا لهذه الآية وغيرها مما لم نذكره من المن على الاسارى كما فعل صلاح الدين الايوبي في اسارى القدس من الصليبيين ويعقوب المنصور الموحدى في اسارى وقعة الارك من الاسبان وهم عشرات الالوف . ثم نسأل الديبلوماسى السوفياتي المتعصب عن رأيه بعد هذا كله في القرآن وقضية السلم والصداقة بين الشعوب !

على اننا في النقطة الاخيرة نحب ان نذكره بالآية الجامعة التى محت كل الفوارق بين الاجناس والالوان ، وحثت على التعارف والتواصل بين الامم والشعوب

بما لم يجئ به اى كتاب ديني غير القرآن ، وهي قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ونعززها بآية اخرى وهي قوله عز من قائل : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم » ونلفت مع ذلك نظره إلى التعبير اولا بالمبرة والقسط وذلك في حالة المواصلة ، وثانيا بعدم التولى فقط اى اتخاذهم اولياء ، وذلك في حالة النهى عنها ، فأى سمو ابلغ من هذا في التواد والتقارب وصداقة الشعوب بقطع النظر عن كل اعتبار للمخالفة ؟ .

ولا ننهى الكلام في هذا الموضوع من غير اشارة إلى ان تحية المسلمين هى السلام وعنهم أخذها « الرفاق » الذين ينعون على القرآن مضادته للسلام ، فيا للوقاحة ! .

اذا تقرر هذا بطل كل ما هول به المؤلف في هذا الفصل من مثل قوله : « ان ادعاء المسلمين ان الدين ينشر السلام في الأرض وان جميع الناس اخوة غير صحيح» وقوله : « اننا نقرأ في السورة الثانية من القرآن ان من يؤمن بالله ويجاهد المشركين يكون في رحمة الله ، وذلك يعنى ان جميع المسلمين يجب عليهم ان يحاربوا الوثنيين والكاثوليكيين والبوذيين الخ . » فقد رأينا ان ما نفى عنه الصحة هو الصحيح ، وان ما بناه على الآية التى ألمع اليها ولم يبينها ، ولعله يريد قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله » هو من تقوله على القرآن بالكذب والبهتان ، فالمسلمون عليهم ان يدعو إلى الله وإلى الدين القويم كما يدعو غيرهم من المبشرين مثلا إلى النصرانية ، والشيوعيين إلى الماركسية ، ولكن ليس عليهم ان يقاتلوا من لم يستجب لهم كما يفعل الشيوعيون ، فثم مراحل للدعوة وفروق بين الكتابيين ومنهم الكاثوليكيون الذين ذكرهم وبين غيرهم ، فهو يهرف بما لا يعرف ، ويتكلم بالهوى الذى يعمى ويصم عن معرفة الحقيقة .

ويتساءل الكاتب اذا كان الناس اخوة والاله واحدا ، فلم يأذن بالحرب بين الاخوة ؟ ويتخلص من ذلك إلى انكار وجود الاله والقطع بأن الدين كيفما كان ما هو الا خرافة منافية للعقل ، الغاية منها خدمة المصالح الخاصة لطائفة معينة من الناس .

والجواب عن سؤاله هذا بناء على ما تقدم ان الله لم يأذن بحرب الاخوة بعضهم لبعض شهوة وحبا في الحرب ، وانما يأذن بالحرب لمنع الظلم والجور ، لان الاخوة الإنسانية وان كانت أمرا واقعا ، فهى محتاجة للصداقة والتواصل . وقد قيل لأحد الحكماء : ايهما احب اليك ؟ اخوك ام صديقك ؟ فقال : وماذا اصنع بأخى اذا لم يكن صديقى ؟ وعلى هذا فاذا جار الاخ على اخيه وظلمه ومنعه حقوقه الطبيعية ومنها حرية الاعتقاد والدعوة إلى الخير المتمثلة في الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واحرى اذا ضرب على يده واهانه واستعمره وعامله بشريعة الغاب والميز العنصرى فان الحرب هى التى تقوم المنآد وتصلح الفساد ولا يرجع الامر إلى نصابه بين الاخوة الا بها . . . واذا كان الدين بل وجود الله عز وجل يتعرض للانكار في نظر الكاتب بمجرد قيام الحرب بين ملة واخرى فما معنى بقاء الشيوعية ووجودها بعد الحروب الساحقة التى اججتها في كوريا والفيتنام وكمبوديا والهند الصينية على العموم ضد (اختها) الراسمالية ؟ وليقس ما لم يقل !

ويقول هذا الكاتب ، في السورة التاسعة من القرآن نجد نداء مباشرا للمؤمنين «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» فما هو الفرق بين هذه الجملة الوحشية من القرآن ، ونداء الجلادين النازيين اقتلوا الروسى – يقول كورينج – اينما يوجد ؟ » والفرق هو ان نداء القرآن للمؤمنين كان بناء على ما اسلفه المشركون لهم من سوء المعاملة والاعتداء عليهم واخراجهم من ديارهم واموالهم . ونداء كورينج وعصابته كان لخيانة الروس لهم وانضمامهم بعد ما كانوا يحاربون في صفهم إلى صف اعدائهم ، وليست ثم ادنى شبهة للمقارنة بين حرب يراد بها نصرة المظلوم واحقاق الحق ونشر لواء الحرية بين البشر ، وهى حرب الإسلام وبين حرب ماحقة عانت

منها الإنسانية جمعاء الويلات والمصائب ، لمجرد التحكم واقتسام العالم بين دول المحور والحلفاء .

وبعد ان يستطرد المؤلف على عادته في التكرار الكلام على الحرب في الإسلام ، ويسميها هذه المرة بالغزو مستهزئاً بما وعد به القرآن أتباعه من جزاء على الاستشهاد في هذه الحرب يقول : « ان كارل ماركس وفريدريك انجلز اشتكيا مما فعلته الشريعة الإسلامية استنادا إلى تعاليم القرآن من تقسيم العالم وجغرافيته إلى قسمين : دار الحرب ودار الإسلام : فوضعت غير المسلمين خارج القانون وبذلك خلقت جوا من العداوة الدائمة بين المسلمين وغيرهم » .

وهذا الكلام في اساسه غير صحيح ويدل على ان قادة المذهب الشيوعى كانوا ناقصى معرفة بالإسلام وشريعته ، فهم يعارضونه عن جهل وعدم تبصر ، والحقيقة ان التقسيم المشار اليه انما هو بين البلاد الإسلامية والبلاد التى تكون معها في حرب ، ما دامت حالة الحرب قائمة ، فاذا انبرم صلح وعقدت معاهدة بين الطرفين فلا تقسيم ولا عداوة ، وهو على كل حال بين بلد وآخر لا على نطاق العالم . ثم ان ذلك هو ما تأخذ به الشيوعية نفسها . أليست تقسم العالم إلى معسكرين شيوعى وامبريالى ؟ والناس معها حين يقولون المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي . وهناك حلف وارسو ، يقابل الحلف الاطلسى ، كل منهما بالمرصاد للآخر ، وكل منهما قائم في حالة السلم لا في حالة الحرب فقط ، وعلى نطاق عالمى لا بلداني ، كما هو حكم الشريعة الإسلامية . والمهزلة في الامر هو قيام جدار فاصل بين برلين الغربيـــة وبرلين الشرقية وحراس مدججون بالسلاح كم صرعوا من برآء حاولوا اجتياز السور لصلة الرحم بينهم وبين اقاربهم أو لقضاء بعض الاغراض فسقطوا موتي ضحية القوانين الجائرة التى سنها اتباع زعماء المعسكرين ! . . . فما فعلته الشريعة الإسلامية في حالة خاصة ، هى حالة الحرب ، هو ما فعله هؤلاء في حالتى السلم والحرب معا . فمالكم تشاركوننا في الفعل وتفردوننا بالعجب ؟ ! . . .

والحاكم في هذا الصدد على جميع ما تقدم هو قول لينين في كتاب ما العمل

ونصه بالحرف : « إما ايديولوجية بورجوازية واما ايديولوجية اشتراكية ، وليس بينهما وسط . لأن البشرية لم تصنع ايديولوجية ثالثة (؟) اضف إلى ذلك انه في مجتمع التناقضات الطبقية لا يمكن ان توجد اية ايديولوجية خارج الطبقات أو فوق الطبقات ، ولذلك فإن كل انتقاص من الايديولوجية الاشتراكية وكل ابتعاد عنها هو في حد ذاته بمثابة تمكين الايديولوجية البورجوازية وتوطيدها » ان هذا تقسيم حقيقى للعالم وجغرافيته لا يبقى معه ذكر للتقسيم الإسلامى الذى اشتكى منه ماركس وانجاز ، وإنا لنجد أثره في الوطن الواحد حيث يتراشق المواطنون بالتهم ويبطن بعضهم العداء للبعض الآخر !

ويزعم الكاتب ان هناك امثالا وحكما شائعة بين التتار والشعوب الإسلامية على العموم تبث روح التفرقة والعداوة بين الامم مثل قولهم اذا كنت توجد بين أجانب فخذ بيدك فأسا . وهى من وضع علمـــاء الإسلام وحملـــة القرآن ، وبها تمكنت الامبريالية العالمية سنة ١٩٤٤م من تقسيم الاخوة المتساكنين في شبه القارة الهندية إلى دولتين : باكستان والهند . . . وقبل ان نكر على زعمه بالنقص نسأله من اين له ان علماء الإسلام وحفظة القرآن هم الذين وضعوا هذه الامثال والحكم ؟ والمعهود ان الادب الشعبي في كل الامم ومنه الامثال والحكم ، انما يستمد وجوده من تجارب الافراد وممارساتهم اليومية . وهو موجود حتى عند الشعوب الذين ليس لهم دين ولا كتاب

اما عن تقسيم الهند ونشوء دولة باكستان فإننا لا ندخل معه في اى جدال بشأنه وانما نرد عليه بما فعله الاتحاد السوفياتي ونضربه بأحجـــاره . نعـــم اذا كان تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين باكستان والهند عملا سيئا وأمرا منتقدا فلماذا قامت الهند بمساعدة الاتحاد السوفياتي وتدخله السافر بتقسيم باكستان وفصل بنغلاديش عنها وتكوين دولتين من الدولة الواحدة التى تتفق في جميع المشخصات والاحوال ؟ أليس هذا عملا اسوأ مما فعلته الامبريالية العالمية سنة ١٩٤٤م، بدليل انه لم يسؤها ولم تبد اى معارضة له ، وتواطأت هى والقائمين به بسكوتها عنه وكان لسان حالها يقول : لم آمر بها ولم تسؤني ؟ ! .

اننا نعرف الاسباب التى دفعت بالهند ومن ورائها الاتحاد السوفياتي إلى تقسيم باكستان وهى تتلخص في عداوة الإسلام لا غير ، ناهيك بعمل تتفق عليه الشيوعية والامبريالية ، فإنه لا يكون ابدا في صالح الإسلام ، ولكن المقام لادانة التقسيم فقط لذلك نقصر كلامنا عليه .

ويختم المؤلف بالكلام على ثورة اكتوبر وما فعلته من معجزات في توحيد شعوب الاتحاد السوفياتي والقوميات والطوائف الدينية العديدة المتساكنة فيه . التى طالما استغلها القياصرة والرؤساء الدينيون وملاك الأراضى . وفي هذا المجال له ان يصول ويجول كما يشاء وليس لنا ان ننكر عليه شيئا مما يقوله ، وانما نلاحظ انه كان من تحرى الحقيقة ان يعبر بما يفيد علة هذا التوحيد وهو اذابة القوميات والطائفيات بكل الوسائل بالرغم من جميع الاحتجاجات التى قامت بها تلك الشعوب فكان جزاؤها القمع الستالينى الذى خلف القمع القيصرى وربما اربي عليه في الشدة والقسوة ... والعبرة بالخواتم وسيتمخض الصريح عن الرغوة ان عاجلا أو آجلا . ولله في خلقه شؤون .

القرآن والنساء :

في هذا الفصل يتعرض الكاتب لموضوع لا إلمام له به اطلاقا ، ويخبط فيه خبط عشواء ، بحيث يضحك منه الثكلى : ويظهر هذا الفصل أكثر من الفصول السابقة ، جهله بأصل الموضوع الذى وضع كتيبه فيه ، كما يظهر سوء نيته الذى يتمثل في كيل التهم للقرآن وشريعة الإسلام بدون حجة ولا دليل ، فإنه في الفصول السابقة كان يأتي ببعض الآيات القرآنية كشاهد على ما يدعيه ، وإن أنزلها غير منزلها وحملها مالا تحمله ، لجهله بمعانيها وبما وردت فيه . أما في هذا الفصل فإنه يكثر من الادعاء والتقول على القرآن ، ولكنه ينسى ان يستدل على دعاويه الكثيرة بما يؤيدها من الكتاب العزيز ، ولو بفهمه المقلوب ، مما يجعل كلامه مردود عليه وفاقد القيمة العلمية حتى لدى من لا يؤمن بالقرآن ! . . .

ومن تعمقه في الجهل والالحاد ، أنه استهل فصله هذا بكلمة للشاعر الروسى نيكراسوف الذى وصفه بالعظيم ، يقول فيها : « ان مفتاح سعادة النساء اضاعه الله ورماه بنفسه » ثم عقب عليها بقوله : « هذه الكلمات البسيطة تعبر بصدق عن أحد اسباب الحظ التعس للنساء فيما قبل الثورة ؛ ذلك الحظ الذى لم يكن الظلم الاجتماعى وحده يحدده ، بل الكنيسة والمسجد كذلك » .

ولست اعرف اجهل ممن يحكم على قضية اجتماعية كبرى ، بل قضية انسانية مثل قضية المرأة ، تضاربت فيها أقوال المفكرين والفلاسفة منذ أقدم العصور إلى اليوم ، بقول شاعر مهما يكن شأنه ، فكيف بشاعر كل قيمته هى إلحاده وثورته على جميع القيم والمثل العليا التى يؤمن بها البشر كافة ، ماعدا اقلية من الماديين الذين يتعاطف الشاعر وإياهم ! . . .

ولنسلم ان المرأة أضاعت سعادتها ولم تسترجعها إلا بعد الثورة الشيوعية ، فما هو حظ الرجل من هذه الثورة ؟ انه بمقتضى منطق الشاعر والكاتب الذى فسر كلامه ، كان سعيدا لم تعطه الثورة شيئا ، اللهم الا ان تكون سلبته سعـــادته ، وهذا هو الظاهر ! . . .

وبقطع النظر عما في هذا الكلام من التهافت ، فان ممـــا يلزم عليه ، ان نساء العالم كلهن سواء منهن المسلمات وغيرهم ، باستثناء نساء الروسيا طبعا ، مازلن يعانين من التعاسة وسوء الحظ ، ما عانته المرأة الروسية قبل أن تنقذها الثورة الشيوعية . والمصيبة اذا عمت هانت كما يقولون . فلتهن المرأة الروسية سعادتها ! ولتحمد المسلمات وسائر نساء العالم ، الله عز وجل على حالتهن التى لا يبتغين بها بديلا !

وتحضرني هنا مستملحة شعرية أحببت ان اذكرها اسوة بالمؤلف ، لكن لا على سبيل الاستشهاد كما فعل هو ، وانما على سبيل الاحماض . . . وهى ان الخليفة المهدى العباسى خرج للصيد فرمى ظبيا فاصابه ، ورماه ممن كان معه علي بن سليمان فأخطأه ، وأصاب كلبا من كلاب الصيد ، فضحك المهدى وقال في ذلك الشاعر الهزلى أبو دلامة :

قـد رمى المهـدى ظبيـا شك بالسـهم فـؤاده
وعـلي بن سليمـا ن رمى كلبـا فصـاده
فهنيئـا لهمـا كـل امـرئ يأكـل زاده

ويقول الكاتب بعد ما تقدم : « ومن المعلوم ان النساء يكون (بضم الياء وتشديد الواو المكسورة) الكثرة الغالبة من المسلمين ، وبالنسبة اليهن فإن القرآن هو المنقذ الذى سينجيهن من العذاب الأبدى ، ولكن هل يعرفن أن القرآن يوصى بإهانة النساء ؟ هل يعرفن ان القرآن لا يعترف بأن المرأة كائن إنساني » ؟

وتخصيصه للمسلمين بكون النساء يمثلن الاكثرية فيهم ، غريب . فان هذه ظاهرة طبيعية في كل المجتمعات البشرية ، ضرورة انهـن مستودع النسل ، فاقتضت الحكمة الإلهية ان يكن اكثر المواليد لاستمرار الجنس البشرى ، وقلما تجد بيتا يغلب فيه جنس الذكور على الاناث . ويقال ان الولايات المتحدة الأمريكية هى البلاد الوحيدة التى يقل فيها عدد النساء عن الرجال لأنها بلاد هجرة . والمهاجرون اكثرهم من الرجال ، ولكن لعل هذا كان فيما مضى ، فإن سنة الله لا تتبدل .

والاتحاد السوفياتي ، اليس يقال انه خسر عشرين مليونا من أبنائه بعد الحرب العالمية الثانية ؟ فبقطع النظر عن الزيادة الطبيعية في العنصر النسوى ، يكون النساء فيه اكثر من الرجال بعشرين مليونا بناء على ذلك الاحصاء ، فما معنى تخصيص نساء المسلمين بالزيادة ؟ الأجل ان تكون الاهانة المدعاة منصبة على اكثرية المسلمين ؟ . . .

وهذه الاهانة التى زعم المؤلف ان القرآن يوصى بها للنساء ، هى من مُفْترياته التى اطلقها دون خجل ولا حياء وهو يعلم انهـا كذب محض بدليل انه لم يأت عليها بدليل ، ولا بما يـشْبِـه الدليل من الآيات القرآنية التى يحرفها عن مواضعها وينزلها في غير منزلها ، ولو انه ظفر بما يموه به من ذلك لما ضرب عنه صفحا ، ولو باعطائه ارقاما خاطئة للسورة والآية التى يوهم القارئ انها حجة له .

ونقول لهذا الجاحد الكنود : ان المراة لم تعرف على مدى التاريخ تكريما مثل

الذى خصها به القرآن العزيز ، فهو الذى رفع قدرها ، واعلى من شانها ، اما وأختا وزوجا وبنتا . وناهيك بما وجد عليه العرب من عادة وأد البنات تجنبا للفقر والعار ، فلم يزل يقرعهم بما في ذلك من الوحشية والاثم حتى اقلعوا عن هذه العادة السيئة ، وأعادوا للبنات اعتبارهن ، وعظموا حرمتهن ، وصارت البنت في الاسرة الإسلامية تحاط بعناية اكثر من الولد ، ويضن بها الا على الصهر الكفء وفي مقابل المهر المجزى ، وبعد تردد الخطاب من ذوى الأقدار على ذويها وأوليائها . وهذا قول القرآن في توعدهم على الوأد بالادانة يوم القيامة « وإذا المؤودة سئلت . بأى ذنب قتلت ؟ » وقوله في التشنيع عليهم لكراهتهم البنات « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم ، من سوء ما بشربه ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ؟ ألا ساء ما يحكمون ! » .

ومن قوله في مودة الزوجات ، والترابط المتين الذى يكون بينهن وبين ازواجهن : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقـــوم يتفكرون » ومنه في وجوب معاشرتهن بالمعروف حتى مع عدم الموافقة : « وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

وعظم القرآن شأن الوالدين ، وخصوصاً الأم ، حتى جعل طاعاتهما من طاعة الله عز وجل اذ قال : « ووصينا الإنسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله في عامين ، أن اشكر لي ولوالديك ، إلى المصير» وقال ايضا : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

والآيات القرآنية في هذا الصدد كثيرة ، يطول بنا تتبعها فأين ما يقوله هذا المفترى على القرآن بشأن المرأة ، واهانتها ، والمجتمع الإسلامى نتيجة لتعاليم القرآن ، كان وما يزال مضرب المثل في تماسك الأسرة ، واحترام المرأة حتى

قال غوستاف لوبون : « ان المسلمين هم الذين علموا اوربا كيف تعامل النساء بالإحسان » وكتبت سيدة انجليزية في هذه الايام مقالا عن انهيار الوضع الاسرى في اوربا فقالت : « لقد اصبحنا ولا مناص لنا من الرجوع إلى مجتمع الإسلام لنقتبس منه مبادئ صيانة الأسرة » ؟ ! . . .

ومن اعظم البهتان الذى افتراه المؤلف على القرآن ادعاؤه ان الكتاب العزيز لا يعترف للمراة بأنها كائن انساني ، ولما كان يعرف انه لا يوجد اى ظل لهذه التهمة الشنيعة في القرآن ولا في اى كتاب من كتب الإسلام فانه رمى بها من غير أن يأتي لها بسند ، كما فعل في التهمة السابقة ، ولكنه وجد ذلك مما تتحدث عنه كتب التاريخ بالنسبة إلى وضعية المرأة في القرون الوسطى بأوربا ، فمن كراهيته للإسلام اراد ان يلصق به هذه الوصمة ، ويعيبه بما ليس فيه ، وما عليه صدق أو كذب ، لأنه بصدد الدعاية للشيوعية . وهو في سبيلها يستبيح كل محظور .

جاء في دائرة معارف القرن العشرين ، ان النساء في القرون الوسطى ، كن مهضومات الحقوق ، وان الرجال أسرفوا في احتقارهن (حتى حرموا عليهن أكل اللحم ، والضحك ، والكلام وغالوا في ذلك حتى وضعوا في افواههن اقفالا متينة يسمونها موزيير ، لا فرق في ذلك بين عال ووضيع وعالم وجاهل ، ثم بلغ الأمر إلى اكثر من ذلك ، حتى عقد في روما مجمع في القرن السابع عشر مكون من فطاحل الرجال وطرحت فيه هذه المسألة وهى : هل للمرأة روح؟) .

فلينظر القارئ إلى تزوير هذا المؤلف ، وتحويله النقائص التى كان المجتمع المسيحى يتصف بها ، إلى المجتمع الإسلامى ، وادعائه ان ذلك مما جاء به القرآن ! . . . واذا بلغ الغرض بالكاتب إلى هذا الحد ، فأى ثقة تبقى بكلامه ؟ ولو انه اشرك المسيحية مع الإسلام في هذا الاتهام كما فعل حين فسر كلام الشاعر (نكرا سوف) لقلنا إن الأمر اختلط عليه ولكنه هناك اتخذ المسيحية قنطرة للهجوم على الإسلام ، وعندما واجهه لم تبق به حاجة إلى ذكرها حتى فيما يختص بها أو بأتباعها على الأصح ! . . .

ونعود إلى تكريم القرآن للمرأة ، فنشير إلى انه بعد ما رفع عنها الضيم الذى

كانت تعيش فيه ، سوى بينها وبين الرجل في جميع الحقوق والواجبات ، إلا فيما تقتضيه طبيعة كل منهما ، وفي ذلك يقول : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف» وهى كلمة جامعة على اختصارها . اذ تجعل للنساء من الحقوق عدل ما عليهن من الواجبات مع ملاحظة الأخذ في ذلك بالمعروف ، واى قانون في الدنيا يعطى للمرأة اكثر مما تنص عليه هذه الآية الكريمة ؟ هذا بعد ما تقلبت بها الأحوال عبر القرون ، على انواع الاضطهاد الذى اشارت اليه دائرة المعارف ، ونقلناه آنفا ، اما عند ما جاء القرآن فلم تكن اى امرأة في العالم لتحلم ببعض ما أعطى المرأة المسلمة ! . .

وخص القرآن النساء بسورة مطولة سماها باسمهن ، وذكر فيها من حقوقهن والأحكام المتعلقة بهن الشئ الكثير ، ومنها هذه الآية في الاستيصاء بهن خيرا : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما) ومنها في تأكيد مساواتهن للرجال في كل عمل ، عمل من امور الدنيا والآخرة : (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا .) .

وباقي الآيات في تمييز شخصيتهن وتحديد حقوقهن ، بما لا يترك مجالا للافتيات عليهن في شئ ، ومنها قوله تعالى : (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر ، نصيبا مفروضا) .

ومن حقوق المرأة التى اعطتها إياها الشريعة الإسلامية ، حق التصرف في مالها بالبيع والشراء والأخذ والعطاء . من غير توقف على إذن زوجها فأحرى غيره ، وليس لها ذلك في كثير من القوانين الوضعية الحديثة ، كما حملتها مسؤولية تدبير المنزل والاشراف على تربية أولادها ، وحضانتهم في حالة موت زوجها ، أو مفارقته ، وجاء في الحديث الشريف : (المرأة راعية في بيت زوجها وهى مسؤولة عن رعيتها) .

واوجبت الشريعة للمرأة نفقة زوجها عليها ولو كانت غنية . وإخدامها

اى ان يتخذ لها خادما . وليس عليها خدمته ان لم تتطوع هى بذلك .

ولا حاجة للقول باشتراك المرأة في هذه الحقوق زوجا كانت او أما او أختا أو بنتا فصيانة الأسرة والقوامة عليها من واجبات الرجال وحقوق النساء عليهم ، وبذلك بقيت كرامة المرأة محفوظة في المجتمع الإسلامى والرابطة الأسرية متينة لاتعرف شيئا من هذا الانحلال المتفشى في الأسر الأجنبية التى خربتها الحضارة العصرية سواء كانت متدينة أم منسلخة من ربقة الدين كالأسرة في العالم الشيوعى ان كان ما يــزال للأسرة فيه وجود . ومن المؤسف ان داء هـــذه الحضارة بدأ يسرى إلى المجتمع الإسلامى فيفك أواصره ويحل روابطه ، فنرى الولد ينفصل عن ابيه ، والبنت تفضل التسكع في الشوارع على القرار في البيت ، والأمر لله .

بعد هذا هل يصح ما قاله مؤلف كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ، من ان هذا الكتاب المجيد لم يعتبر المرأة كائنا انسانيا ؟ وكما رأينا فإن هذا الامر لم يخطر في بال علماء الإسلام ، بل ليس له تعبير يدل عليه في الشريعة الإسلامية فأحرى في القرآن ، وهذا راجع إلى ان الإسلام في قانونه العام ، لا يعرف شيئا من احكام الحرمان وقرارات الطرد التى تصدرها الكنيسة ، بمثل هذه العقلية السخيفة التى تشك حتى في الأمور المحسوسة ! . .

ويتابع المؤلف اتهاماته فيقول : وحسب الكتابات الإسلامية ، فان المرأة خلقت من ضلع الرجل ، والقرآن يؤكد ان الله لم يخلق بيده الا الرجل آدم ، وانه أمر الملك جبريل ان يخلق المرأة من ضلع آدم ، وهذا هو السبب في كون الشريعة ترغم المرأة على ان تطيع زوجها وتكون أمة له . »

ان ما تضمنته هذه الفقرة من كون القرآن يؤكد انه لم يخلق بيده الا الرجل ، كذب محض ، وكذلك ماجاء فيها من ان الله عز وجل امر جبريل ان يخلق المرأة من ضلع آدم ، فهذا هو القرآن بيدنا ، نقرؤه ، ونعد كلماته بل حروفه عدا ، ونحن نؤكد لمن لا يعرفه انه ليس فيه شئ مما زعم هذا المؤلف ، لا (تأكيده) ان الله لم يخلق بيده الا آدم ، ولا انه وكل خلق المرأة إلى جبريل ، ولا انها خلقت من (ضلع) آدم ، ونتحدى المؤلف ان ياتينا بما يدل على ذلك من القرآن

تصريحا أو تلويحا . واذا بطل المقدم فالتالى ، وهو مابنى عليه من إرغام الشريعة المراة على ان تطيع زوجها باطلاق وتكون امة له ، باطل لا محالة ، كما علم من الآيات السابقة التى تبين مكانة المرأة في الإسلام وعلاقتها بالرجل .

أما قضية خلق المرأة من ضلع الرجل ، فهى أيضا مما لا ثبوت له في الكتابات الإسلامية على هذا الوجه من العموم الذى زعمه المؤلف . وغاية ما هناك حديث نبوى يقول ، ان المرأة خلقت من ضلع اعوج ، وان اعوج ما في الضلع اعلاه ، وانك اذا ذهبت تقيمه كسرته ، وشراح هذا ا لحديث يقولون ، انه جاء على وجه الاستعارة لخلق المرأة على طبيعة تخالف طبيعة الرجل وانه نصيحة بالصبر على طبيعتها حتى يتأتي الانتفاع بها ، وقيل انها خلقت من ضلع آدم(١) فنحن نرى ان كتابات المسلمين في الموضوع ليست قاطعة .. ومع ذلك فان مسالة الخلق تختلف فيها نحن والماديين على طول الخط ، وقد بينا ذلك في الفصل الخامس ، فلا حاجة لإعادته .

ولابد ان نشير إلى ان هذه القضية هى من عقائد اليهود والمسيحيين ، فقد جاء في التوراة (سفر التكوين الاصحاح ٢١) مما يتعلق بها مايلي : (فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فقام فأخذ واحدة من أضلاعه ، وملأ مكانها لحما ، وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم ، امرأة وأحضرها إلى آدم) الخ. وبعد تاكيدنا انه ليس في القرآن شئ من هذا ولا هو مما يجب على المسلمين اعتقاده ، نسجل على المؤلف جهله بالتوراة ، كما هو جاهل بالقرآن . فهى قد اثبتت خلق الله للمرأة بنفسه ، وعدم توكيل ذلك إلى جبريل ، فيما نسبه زورا وبهتانا إلى القرآن . وذلك مما يحقق ماقلناه سابقا من ان المؤلف جاهل حتى بأصل الموضوع الذى وضع كتيبه فيه .

ويتكلم المؤلف على المرأة في ايران وعند الشيعة على العموم ، بما لا يختلف عن كلامه السابق ، ويبالغ في المهانة التى يعاملها بها الشيعة ، ونحن نمنع ان يكون شئ من ذلك حقا ، لأن الشيعة من المسلمين وكتابهم المقدس ، هو القرآن ، فلا

---

(١) مجمع بحار الأنوار للشيخ محمد ظاهر في حرف الضاد .

يصح مطلقاً أن يخالفوا تعاليمه بشأن المرأة . ثم يقول : « والمرأة في الإسلام ليس لها اى حق سياسى ، وفي الميرَاث لا تأخذ البنت سوى قدر رمزى قليل ، في حين يذهب معظم التركة إلى الابن ، وامام المحكمة لابد من شهادة امرأتين لمقاومة شهادة رجل واحد (سورة ٢ الآية ٢٨٢) . . » .

للمرأة في الإسلام حقوق سياسية تناسب طبيعتها ومهمتها في المجتمع الإنساني لم تنلها اى امرأة في اى نظام حكم قبل اليوم، ومن أعظمها حق انتخاب الحكام، او مايسمى بالبيعة، وقد بايع النساء النبي صلى الله عايه وسلم كما هو ثابت في السنة ، ولهن ايضا حق المشاورة اذا ثبتت أهليتهن لذلك ، كما شاور النبي صلى الله عليه و سلم زوجه أم سلمة في غزوة الحديبية وأخذ برأيها ، ومن ثم سميت مستشارة النبي ، ولهن حق حضور الحرب مع الرجال، ومعاونتهم حتى بالقتال ان اقتضى الأمر؛ على ما كان عليه الحال في غزواته صلى الله عليه و سلم ولهن حق الاعتراض على الحكام فيما لا وجه له من الشريعة ، وقد اعترضت امرأة على عمر بن الخطاب وهو خليفة ، لما اراد ان يسن قانونا يتعلق بالصداق ، فاعترف عمر بخطئه وعدل عما أراده .

والكلام في هذا الباب يطول ولكن المهم هو ان هذه حقوق للمرأة المسلمة زاولتها فعلا لا قولا ، فهى ليست مثل الحقوق التى تسطر في الأوراق ، ولا يكون لها نصيب من التطبيق ، والا فليخبرني حضرة المؤلف عن الحقوق السياسية التى للمرأة السوفياتية في النظام الشيوعى . وخاصة في مجال الحكم ، فمنذ قيام ثورة في ١٧ أكتوبر ١٩١٧م ورئيس الدولة رجل ، والآن يزاول الحكم فعلا في الاتحاد السوفياتي ثلاثة رجال محترمين ، ولماذا لم تكن معهم امرأة ؟ . .

اما مسألة الإرث فليس صحيحا ما قاله المؤلف فيها بوجه من الوجوه ، والعجب منه ان يرد على القرآن ولم يكلف نفسه ان يراجع آية المواريث فيه ، وهى مفصلة تفصيلا لا مزيد عليه في البيان والوضوح ، تعطى للمرأة حظوظا متفاوتة بحسب عدد الورثة ، كما تعطى للبنت تارة النصف وتارة غير ذلك . وقد يأخذ البنات في حال تعددهن أكثر مما يأخذ الابن المنفرد(٢) . فعلى المؤلف

(٢) أجملنا القول في هذه القضية ولم نتعرض لاستحقاقات الرجل التى تفرضها تكاليفه ومهامه كدفعه للصداق ووجوب إنفاقه على زوجته ولو كانت غنية كما أشرنا إلى ذلك من قبل . لأنا رأينا هذا كافيا فيما أثاره المعترض من تهم .

درك شنيع في قوله ان البنت لاحظ لها من الارث الا قدر يسير رمزى والباقي يأخذه الولد ، ومع ذلك فنحن نسأله ما تأخذه المرأة بل الرجل من الميراث في النظام الشيوعى، وهل بقى للبنت المسلمة في هذا النظام حتى ذلك القدر الضئيل الرمزى ؟ .

واما شهادة المرأة وكونها على النصف من شهادة الرجل ، فقد عللناها في كتابنا (مفاهيم إسلامية) بأن في ذلك رفقا بالمرأة وابتعادا بها عن أسباب الخصومة ، لأن الشهادة مهمة خطيرة تترتب عليها مسؤوليات كثيرة . وربما نشأت عنها عداوات وأضرار شخصية مختلفة فالأولى بالمرأة ألا تتورط في حبالتها ، وان كان ولابد فإن اعتضادها بامرأة اخرى يخفف عنها عبء هذه المسؤولية . . . الخ(٣) . وفي هذه المسألة فقط أشار المؤلف إلى السورة والآية التى ورد فيها هذا الحكم . فدل بذلك على انه في كل التهم السابقة كان يزيف ويدعى على القرآن بما ليس له عليه برهان ! .

ويقول أيضا : « وفوق ذلك فإن القرآن يعطى الرجل حق سجن زوجته في غرفة وقتلها جوعا اذا عصته ، والدين يعتبر المرأة شخصا دنسا ولذلك فهى عرضة لمختلف الشتائم » .

هذا كله من مفتريات المؤلف ، ولذلك لم يأت عليه بدليل ، وطاعة الزوجة لزوجها واجبة لا مرية فيها ، والآية القرآنية الواردة فيها هى قوله تعالى في سورة النساء : « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا . وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ، إن الله كان عليما خبيرا » وهى كما نرى ترتب عقاب المرأة على تمردها وخروجها على طاعة الزوج ، فتجعله اولا وعظا ونصحا ، وثانيا عدم الاتصال بهن في المضاجع وثالثا ضربا خفيفا كما هو مبين في محله ، على انه ان لم يُجْدِ نفعا ، وخيف ان يؤدى إلى ماهو أسوأ ، فينبغى حينئذ الرجوع إلى التحكيم ، والاصلاح

(٣) مفاهيم إسلامية للكاتب ص ٩٩ .

بواسطته بينهما ، وذلك كله حرصا على رباط الزوجية ان ينفصم وعلى عقدها ان ينحل .

ولا يعترض على الضرب فهو مما لا نجد مجتمعا سلم منه ، ولا أنسى منظرا رأيته في صباى بميناء طنجة ، وهو ضرب رجل أوربي لامرأته بموسى الحلاقة في ملتقى خدها مع ذقنها ، فبانت اضراسها بيضاء كاللؤلؤ ثم غمرتها الدماء الحمراء وارتفع صوت المرأة بالصراخ والعويل ، فلم املك الا ان أنسحب من المكان وأنا في غاية الدهشة ، في حين ازدحم الناس عليها ليروا ما وقع ، انه في الحقيقة منظر مؤلم وفظيع ، وأشهد اني ما رأيت مثله في حياتي ، وهذا مثال من معاملة الرجل للمرأة في غير المجتمع الإسلامي!.. وقد نشرت الصحف ... في هذه الأيام ان مظاهرة كبيرة جرت في احدى عواصم اوربا للنساء ضد رجالهن الذين يضربونهن ، والأمر مع ذلك في الشريعة الإسلامية مقيد بالضرورة وهى ان كانت تقدر بقدرها فالضرب فيها محدود جداً .

فنحن نرى ان لا شئ في آية الطاعة مما ذكره المؤلف ونسبه إلى القرآن ، ولعله اختلط عليه الامر بين هذه الآية وآية العقاب على اقتراف الزني وهى قوله تعالى في نفس السورة : « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا .. » . وهى مع ذلك ليس فيها سجن ، وانما هو إمساك في البيوت مع الأسرة اى منع لهن من الخروج لئلا يتمادين في هذا السلوك المنحرف ، وليس فيها قتل بالتجويع ، ولكن حراسة إلى الوفاة ، وهى في ذلك صريحة كل الصراحة ، بحيث ربما يتوهم ان فيها إطنابا فإنه لوقيل حتى يمتن أو حتى يتوفين لكان كافيا ، الا ان البلاغة القرآنية جمعت بين اللفظين وأسندت الوفاة إلى الموت دفعا لما قد يخطر ببال غلاظ الأفهام من الناس كهذا المؤلف ! ...

واما قوله ان الدين يعتبر المرأة شخصا دنسا ولذلك تتعرض للشتائم فهو أيضا من مفترياته ، والا فأين جاء في الدين النص على ذلك ؟ وما قدمناه من الآيات القرآنية وغيرها ، كله يدل على احترام الإسلام للمرأة والنظر اليها بعين الاعتبار ،

وجعلها على قدم المساواة مع الرجال في الحقوق والواجبات . وقد جـاء في الحديث الشريف « المؤمن لا ينجس » وأل في المؤمن هنا للجنس فيشمل النساء والرجال على حد سواء ، لان من المقرر في الشريعة ان النساء شقائق الرجال في الأحكام ، ومن الأحاديث الواردة في هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم « الجنة تحت أقدام الأمهات » وهل تكون الجنة تحت اقدام دنسة؟ ومنها قوله عليه السلام « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » وحيث الأمر كذلك فكيف تصبح المرأة عرضة للشتائم ؟

ثم أشار المؤلف إلى مسألة حجاب المرأة ، وزعم ان المتعصبين من المسلمين في اوزبكستان قتلوا سنة ١٩٢٨م حوالى ٣٠٠ امرأة أجترأن على سب الدين لما خلعن الحجاب المهين ، ونحن لا نثق برواية المؤلف لأنا جربنا عليه الكذب فيما نتحققه ، ومن كذب مرة بل مرات ، فكيف يعتمد على كلامه ؟ ولذلك نخشى ان تكون السلطة في اوزبكستان هى التى قتلت هذا العدد الكبير من النساء المسلمات لامتناعهن من نزع الحجاب ، ويبعد كثيرا ان تقع مقتلة من هذا النوع ، وتقف السلطة مكتوفة الأيدى بإزائها حتى تنتهى،وهى قد تدوم وقتا طويلا ! ... فلا شك ان هذا امرمدبر من طرف المسؤولين في الحزب او في الحكومة ان كان وقع فعلا، علما بأن الإسلام يحرم قتل النساء حتى في الحرب فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والأطفال والعجائز ورجال الدين من العدو ، فكيف من المسلمين ، ولما قتل مصعب بن الزبير امرأة خالد بن أبي عبيد اشتد النكير عليه وأعظم الناس ذلك حتى قال الشاعر عمر بن أبي ربيعة أبياته المشهورة في ذلك وهى :

ان من أعظم الكبائر عنـدى   قتل حسناء غـادة عطبـول
قُتِلتْ باطـلا على غيرذنب   ان الله درهـا مـن قتيـل
كتب القتـل والقتـال علينا   وعلى الغـانيات جرالذيـول

وعلى كل حال فنحن ننفى هذه الواقعة عن مسلمى اوزبكستان لأمر بسيط ، وهو ان الأمر لو تعلق بامرأة او امرأتين . لقلنا انه ربما صدر ذلك من بعض الجهال الذين لا يبالون ما فعلوا ، وهم موجودون في كل وقت وفي كل مكان ،

أما والأمر يتعلق بمذبحة عظيمة فانه لا يخلو اما ان يكون كذبا واما ان يكون من فعل من بيدهم الأمر ولا زائد ! . . .

ويتعرض المؤلف لما سماه نظام النساء المتواضع في القرآن ، فيصفه بأنه غير مساو لنظام الرجال ، اعتبارا بما ذكره القرآن في صراحة تامة ، من ان الرجال اعلى درجة من النساء وأجل قدرا . . ولو كان هذا هو كل نظام النساء في القرآن، لكان المؤلف صادقا في تسميته بالنظام المتواضع ، لكن الأمر كما علمنا أعظم من ان تستوعبه كلمة موجزة ايجازا مخلا كهذه . وقد افرد القرآن للنساء سورة مطولة مسماة باسمهن كما سبق القول ، واودعها الكثير الطيب من الأحكام والتعاليم المتعلقة بهن . وهي إلى ذلك لا تغنى عما ذكره في سور اخرى مما يؤلف نظام النساء في الإسلام ، فالمؤلف يبرهن في كل ما يقول على نقصان معرفته بالإسلام وكتابه المجيد ، الذى سولت له نفسه الطعن فيه .

واما ما زعمه من ان القرآن يذكر في صراحة تامة علو درجة الرجال على النساء ، وبذلك تنتفى المساواة في قانون الإسلام بين الجنسين . فان هذا المسكين معذور اذا لم يفهم ماجاء في القرآن بهذا الصدد ، وهو وكل الأعاجم ممن يقرأون القرآن في ترجمات غير دقيقة ، ولا يأخذون العلم عن أهله ، يقعون في أخطاء فظيعة من هذا القبيل ، ونبين له ولأمثاله ما خفى عليه من معنى الآية الكريمة ، التى أشار اليها ولم يذكرها ، وهى قوله تعالى : (وللرجال عليهن درجة) فهذه الآية جاءت بعد الآية السابقة التى قلنا انها جامعة على اختصارها لحقوق النساء وواجباتهن أعنى قوله تعالى : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) فإثرها مباشرة قال الله عز وجل (وللرجال عليهن درجة) وظاهر ، والكلام في الحقوق والواجبات، ان النساء وان كن مساويات للرجال ، فان مسؤولية هؤلاء اعظم ، وما يتوجب عليهم من حماية الأسرة والنفقة عليها والنهوض بأعباء النظام وحفظ الكيان والدفاع عن الوطن هو أكثر مما يتوجب على النساء ، فأين مازعمه المؤلف من ان المقصود هو ارتفاع درجة الرجال وقيمتهم على النساء بلا موجب ؟ . .

بعد هذه الأراجيف يخوض المؤلف في مسألة الطلاق ، فيزعم ان المرأة لا

يسوغ لها ان تطلق زوجها بحسب القرآن ، ويرمز إلى الآية ٤٣ من السورة ٢ . .
وهذا الرمز خطأ فليس في الآية ٤٣ إشارة إلى الطلاق بحال ، اذ هى تقول :
(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) ولا يقع الكلام على الطلاق
واحكامه في السورة الثانية والتى هى سورة البقرة إلا بعد الآية ٢٢٦ . . . .
وهؤلاء المعترضون على شريعة الإسلام ، كانوا اولا يعترضون على وجود حكم
الطلاق فيها من الأصل ، ويشنعون به على المسلمين أعظم التشنيع ، فلما
اضطرهم واقع الحال الاعتراف بحكمته ، وأخذوه بمحاسنه ومساويه ، حتى
اصبح لعبة في ايديهم : وكثرت حوادثه عندهم بحيث يضيق عنها الاحصاء ،
صاروا يعترضون على الشريعة الإسلامية جعلها حق الطلاق للزوج دون الزوجة
. . . وهذا ليس صحيحا على اطلاقه . فان للزوجة ان تشترط هذا الحق في عقد
الزوجية ، فيكون لها ، ولها ايضا حق الخلع ، وهو الطلاق بعوض . نظرا
لما صرفه الزوج اليها من المهر وما انفقه على البناء بها . وبالرغم مما يقال في هذا
المجال ، فاننا على يقين تام ، انهم سيرجعون إلى تنظيم الطلاق على الشروط الإسلامية
كما رجعوا إلى اقراره من اصله بعد ما كانوا ينكرونه . والإسلام كما هو معلوم ،
وان شرع الطلاق من اول يوم ، فانه يعتبره ابغض الحلال ، والتهتك الذى وقع
للأوربيين والأمريكيين فيه ، لم تعرف بلاد الإسلام في تاريخها له نظيرا لأنها
تأخذ فيه بشريعة الله الذى هو اعلم بمصالح عباده .

ويفيض المؤلف في ذكر حوادث شنيعة زعم انها نتجت عن الطلاق لبعض
نساء المسلمين في الاتحاد السوفياتي ، وهو يبالغ في تصوير ما آلت اليه حال
بعض هؤلاء النسوة حتى تشردن هن وأطفالهن ومتن من الجوع ، ومبالغته هذه
تدل على ان هذه الوقائع ليست صحيحة . لأن المرأة اذا كان لها اطفال وطلقت
فان لها حضانة اطفالها ونفقتهم واجبة على والدهم فلا يتشردون وتموت هى
جوعا الا اذا لم تنفذ احكام الشريعة في حقها . والمسؤول حينئذ هم الولاة لا
قانون الأحوال الشخصية الإسلامى . . . كما يذكر تلاعب بعض الأزواج بالطلاق
واستهتار بعض القضاة بالنساء المطلقات ، ونحن لا نمنع ان يكون هناك من
الأزواج من يتلاعب فعلا بحق الطلاق وان كان ذلك لا يبلغ ما بلغ تلاعب الرجال

والنساء معا به في البلاد الاوربية والأمريكية . كذلك لا ننكر ان يكون بعض القضاة من المسلمين ، من المستهترين ، ولكنا لا نظنهم يصلون إلى ما وصل اليه الراهب راسبوتين الذى يعرف المؤلف وقائعه كما يعرفها العالم أجمع .

وأخيرا يختم المؤلف فصله هذا بالإشادة بما وصلت اليه المرأة الروسية تحت النظام الشيوعى من التطور والتقدم في العلوم والفنون . ولا ينكر احد نهضة الشعب الروسى العظيمة ، وانما المنكر أن يهاجم المرء العقائد والنظم والحضارات الأخرى لاثبات نهضته .

من هم المستفيدون من الصلوات :

اطلعنا فيما مضى على مهاترات هذا الكاتب في المسائل الاساسية كحقيقة القرآن وموقفه من العمل وخلق العالم ، والسلم والصداقة بين الشعوب ، وقضية المرأة ، وما سطره في هذه الفصول من ادعاءات باطلة ، وتقوّل على الإسلام وكتابه المبين ، وفضحنا ما في كلامه من تزوير ودس ، و جهل بهذه الموضوعات في اصلها ، بقطع النظر عن كلمة القرآن فيها ؟ فأما حين يتعرض لأقوال القرآن ، فانه لايبين عن جهله فحسب ، ولكنه يعمد إلى الكذب والبهتان مدفوعا بعامل التعصب المقيت والثقة العمياء فيما لقنه إياه أساتذته الشيوعيون ، وشحنوا به فكره العاجز عن التأمل وإعمال النظر فيما يقرأ او يسمع ! .

والآن ينتقل إلى الكلام على امور اخرى من شعائر الدين كالصلاة وما اليها ، ليملى رأيه الالحادى المتعنت ، متذرعا بذلك إلى نقد القرآن والطعن في الإسلام ، فلنسمع اليه حين يقول تحت العنوان السابق :

« الغاية من الصلوات التى ينظمها القرآن والشريعة الإسلامية لاتباعهما المؤمنين بهما هى الشعور بالخضوع المهين ، ويقوم المسلمون بالصلوات كل يوم بانتظام وأحيانا عدة أيام متوالية ، وبالاضافة إلى الصلوات الخمس التى يؤدونها في كل يوم كما فرضها القرآن فانهم يستعينون بالله في كل مناسبة وفي كل الظروف ،

قبل طلوع الشمس ، وقبل الاكل واثناءه ، وقبل غروب الشمس وعند غروبها واثناء الليل ».

ان شخصا ملحدا ، يعيش في غمرة المادة ، ولا يعرف شيئا عن الحياة الروحية ، كهذا الكاتب لا يمكن ان يفهم معنى الصلاة او يدرك لها مغزى ، ولا يستطيع ان يتصور السمو الروحى الذى توحى به الصلاة لمن يمارسونها ، لان ما ران على احساسه من قساوة المادة ، يجعله بعيدا عن هذا الجو . وبما انه يعيش حقيقة في تبعية مطلقة وخضوع مهين ، لسيطرة الحــزب الرهيبة ، وتسلط الحاكمين بأمرهم ، فهو انما يصدر في احكامه وآرائه ، عن تجاربه الشخصية ، وما عرفه في حياته اليومية من اذلال وتسخير . وما مثله الا مثل ولد الوزير الذى نشأ في السجن مع أبيه ، فلم يرفي حياته الا الفأر ، فكان كلما حدثه والده عن شيء مما هو خارج السجن ، الا قال له : أتراه مثل الفأر ؟ . .

ان الصلاة — يا هذا — ضمير حى لا ينشأ الا عند المؤمنين بها ، يأمرهم وينهاهم فيكفهم عن الشر ويحضهم على الخير ، ويقوم رقيبا حسيبا عليهم ، فلا تصدر منهم زلة أو هفوة الا واخذهم بها، وبذلك تصفو نفوسهم ، وتطهر بواطنهم ، كما تتطهر ظواهرهم واجسامهم بشرطها الذى لا تصح الا به ، وهو الوضوء ، والاغتسال ان وجد موجبه ، وهذا ما يشير اليه القرآن الكريم بقوله (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وخبراء الاحصاء يسجلون انخفاض نسبة الاجرام في البلاد الإسلامية عنها في البلاد الاروبية والأمريكية ، برغم تقدم هذه في العلم والحضارة ، ولا يعرفون ان السبب في ذلك يرجــع إلى تدين المسلمين ؛ وبالخصوص إلى هذا الوازع العتيد الذى هو الصلاة فليعرف ذلك من لم يكن يعرفه ، ومن يجعل الحسنات سيئآت .

والصلاة رياضة بدنية مفيدة جدا يزاولها المصلى من حيث لا يشعر ، في اوقات متقاربة ، وحصة زمنية قصيرة ، فيقوم ويقعد ، ويركع ويسجد ، على اوضاع متناسقة متعادلة تكسبه خــفة ونشاطا ، إلى ما استفاده من تهذيب نفسه وتقويم خلقه ، ويقول العلامة الحكيم عبد اللطيف البغدادى المعروف بالموفق في شرح

الاربعين الطبية ، بعد ان ذكر ان الصلاة رياضة جسدية كما هي رياضة للنفس ما نصه : « وقد رأيت جماعة من ارباب العبالة والترف محفوظي الصحة ، فبحثت عن سبب ذلك ، فألفيتهم كثيري الصلاة والتهجد ، وذلك انها تشتمل على انتصاب القامة وركوع وسجود وتورك وغير ذلك من الاوضاع التى تتحرك معها أكثر المفاصل ، وتتنعم فيها أكثر الاعضاء ، ولا سيما المعدة والامعاء وسائر آلات التنفس والغذاء ، عند الركوع والسجود » إلى آخر ما قال في منافعها الصحية ومعالجتها لعدد من الامراض البدنية(١) ، والصلاة فوق ذلك صلة بين الخالق والمخلوق ، يناجي الإنسان فيها ربه ، فيقف بين يديه تملأ نفسه معاني القرب والاختصاص ، فينقطع ما بينه وبين العالم السفلي ولو للحظات ، ويسمو إلى عالم الملكوت ، حيث يدرك تفاهة المادة وما اليها من هذه الحياة الفانية ، ويتعرف إلى الحياة الروحية الخالدة التى لا تنتهى بالموت ، كما يعتقد الملحدون الماديون ؟ وهذا السمو الروحى هو ما أعوز الكثير من شباب الغرب الذى نشأ في أحضان المادية الملحدة فتنكر للدين والإيمان بالغيب ، وأقبل على تعاطى المخدرات مثل الماريجوانا ، يلتمس في تخيلاتها العزاء عما فقده من لحظات الاشراق الروحى التى حرم منها لما ولى دبره للحياة الدينية وأهم مظاهرها وهو الصلاة .

وعلى كل فالخضوع المهين أبعد شئ عن مفهوم الصلاة وحتى لو جعلنا الصلاة خضوعا فهو خضوع للعلي الأعلى يشرف صاحبه ولا يهينه كما يهينه الخضوع للبشر على ما هو الامر في خضوع المؤلف لرؤسائه من القادة الحزبيين والحكام حسبما اشرنا اليه آنفا . ولنعمل مقارنة بسيطة بين الخضوعين لنرى أيهما المهين ، فلو صدر أمر لهذا المتمرد على الله من مشغل أو مفتش فأحرى زعيم ، هل يسعه عدم تنفيذه وان جهل غايته ؟ . الجواب لا طبعا ، ونحن نجد الامر يصدر من الله إلى الخلق مع بيان حكمته كالصلاة مثلا ، يقول فيه عز وجل (وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وكالصيام يقول فيه تعالى (كتب عليكم

---

(١) انظر (شرح الاربعين الطبية) لعبد اللطيف البغدادى بتحقيقنا . نشر وزارة الأوقاف بالمغرب .

الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقد يأتي الامر تدريجيا على مراحل كما في تحريم الخمر ، ومع ذلك فان الحسم فيه يكون بعبارة كلها نصح وإرشاد وأكاد أقول وملاطفة (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون ؟) وهذا مع ايجاد المندوحة عند العذر وعدم الاستطاعة (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وفي الحديث « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » ! فأين المهانة والخضوع المشعر بها ؟ الجواب : في الامر الاول قطعا ، فليخرس الخاضع المهين ! . .

ومن دلائل جهل الكاتب بما يتكلم فيه قوله : « ويقوم المسلمون بالصلوات كل يوم بانتظام ، واحيانا عدة ايام متوالية » فان كان يريد الصلوات الخمس المكتوبة فالجملة الاولى كافية في الدلالة على المراد ، وان كان يريد صلوات اخرى فاننا لا نعرفها ولا نعرف اياما مخصوصة يقوم المسلمون فيها بصلوات متوالية غير الصلوات المطلوبة منهم .

ثم يقول : « وبالاضافة إلى الصلوات الخمس التى يؤدونها في كل يوم كما فرض القرآن ، فانهم يستعينون بالله في كل مناسبة وفي كل الظروف قبل طلوع الشمس وقبل الاكل . . الخ » وليت شعرى اذا لم يستعن المؤمنون ، مسلمين وغيرهم ، بالله فبمن يستعينون ! امـــا اذا كان يريد للمسلمين ان يستعينوا بالاتحاد السوفياتي ، فقد فعلوا ذلك في وقت من اوقات غفلتهم وفتنتهم ، فخذلهم في اشد ما كانوا بحاجة اليه سنة ١٩٦٧م ولمـــا راجعوا ايمانهـــم وبصيرتهـــم واستعانوا بالله سنة ١٩٧٣م نصرهم وهزم عدوهم ، وهكذا تأكدوا ان الله وحده هو القوى المعين .

بعد هذا يذكر المؤلف صلاة الجنازة ، وصلاة السفر ، وصلاة المصيبة ، ويقول ان بعض الصلوات تدوم ساعتين او ثلاثا وكل ذلك في سياق الانكار والاستغراب من كثرة الصلوات عند المسلمين .

اما صلاة الجنازة فهى مما يوجد في جميع الاديان ، وحتى الملاحدة لم يستطيعوا ان يلغوهـــا فأبدلوها بلحظات الصمت وموسيقى الحزن ، ومع ذلك فان صلاة الجنازة في الإسلام بل الشعائر الجنائزية كلها هى من البساطة ومناسبة الحادث المؤلم الذى هو الموت ، بحيث كانت السبب في إسلام احد المسيحيين(٢) واما ما سماه بصلاة السفر وصلاة المصيبة فهو من تقولاته على الدين الحنيف التى ليس لها سند من كتاب او سنة ، واذا كان بعض المتدينين يتطوع بالصلاة قبل سفره ، او يفزع إلى الصلاة عندما تنزل به مصيبة ، رجاء وجود بركة الصــلاة في السفر او تخفيف وقع المصيبـــة عليه بالاستغراق في جو الصلاة فان ذلك مما يدل على انه مؤمن فاضل ولا يلومه على فعله هـــذا الا البطالون ؟ وزعم المؤلف ان بعض الصلوات تدوم ساعتين أو ثلاثا هو من التشنيع الذى يريد ان يبث به كراهية الصلاة في نفوس غير المؤمنين ، وليس في الإسلام صلاة تدوم ما يقارب هذه المدة على سبيل اللزوم ، الا ان تكون صلاة الكسوف ، وهى لا تقع الا مرة في سنين عديدة ، ومع ذلك فهى غير لازمة . نعم ان المتطوع بالصلاة كالمتهجد ليلا ، اذا أراد ان يطيل صلاتـــه فذلك على حسب نشاطه وما يجده فيها من المتعة الروحية وليس لنا ان نتحكم في ارادة الناس الا اذا كنا شيوعيين نتدخل حتى في الحريات الشخصية للآخرين ! وبالعكس ممـــا يقول هذا الذى يهرف بما لا يعرف . فان المطلوب في الصلاة الواجبة اذا كانت في الجماعة ، هو التخفيف ما امكن للحديث الشريف الوارد في ذلك ، وهو قولــه عليه الصلاة والسلام : « إذا أم أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة ، فإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء » ولننظر إلى قوله : « فليطول ما شاء » فانه تخيير له وليس إلزاما والا لقال « فليطول » بدون زيادة ما شاء » ! .

وما للمؤلف ينكر على المسلمين تطويل الصلاة في بعض الاحيان ، ويغض الطرف عن الصفوف التى تمتد على مسافات بعيدة في الكرملين لزيارة جثة لينين

---

(٢) انظر فصل (هؤلاء أسلموا) في كتابنا على درب الإسلام .

والتى تدوم عدة ساعات بل اليوم كله ، في خشوع مصطنع ، أليست هذه صلاة أطول من صلاة المسلمين التى يعيبها بالطول ؟ .

ويزيد المؤلف قائلا على سبيل الاستنكار : « وحسب شريعة القرآن يجب على المؤمن ان يتوضأ قبل كل صلاة» وهذه فضيلة حقه ان يحمدها ، لو لم يكن يتكلم بروح الكراهية والحقد . فالوضوء طهارة ونظافـــة ، جعلها الإسلام من قبيل العبادة ، وبذلك كان المسلمون منذ اربعة عشر قرنا أكثر الأمم عناية بنظافة اجسامهم وطهارة أبدانهم ، بل وثيابهم واماكنهم لان الصلاة لا تصح الا مع ذلك ، وقد جعلهم هذا الامر ينشئون الحمامات والمغاسل الخاصـــة في بيوتهم والعامة خارجها للنساء والرجال . وكانت بلاد المسلمين اكثر البلاد حمامات حتى ان من المدن ما كانت الحمامات فيها تعد بالمئات ، وبعضها كان مجانيا ، وهذا في حين كانت بلاد اوربا لا تعرف هذا النوع من المنشآت الصحية والحضارية . بل كان الاغتسال والنظافة البدنية عند سكانها بدعا من الامر ، ناهيك بأنهم في اسبانيا بعد طرد العرب ، كانوا اذا علموا ان أحد الافراد يغتسل ويعتنى بنظافة بدنه وأطرافه يتهمونه بأنه مسلم ما يزال على دين العرب الراحلين ويقدمونه للمحاكمة وربما قتل وأحرق . ولهذا كان فقهاء الاندلس يمنعون دخول النصارى إلى مساجد المسلمين – كما هو مذهب الإمام مالك متبوعهم – فاذا كان هناك ما يحمل على دخول أحد النصارى إلى المسجد ، فانه يجب ان يدخل حسب فتواهم بحذائه قائلين : لان حذاءه انظف من رجله واقل وسخا ونتنا ! ولعل هذا الفقه ما يزال عاملا حتى في مساجد الشرق التى يسمح فيها للمسيحيين بدخولهـــا . لكن مع لبس الشبشب الذى يدخلون فيه احذيتهم ويعفون من نزعها كما ينزع المسلمون احذيتهم ونعالهم ! لهـــذا كان على المؤلف أن يخجل من الكلام على الوضوء والتزام المسلمين به عند الصلاة ، ثم انه كما في كل كلامه قد ارتكب خطأ جديدا حين قال : (ان الوضوء يجب قبل كل صلاة) فالأمر ليس كذلك : لانه اذا كان الوضوء لازما للصلاة فانه ليس بلازم قبل كل صلاة اذ قد يكون المسلم ما يزال على الوضوء ، وحينئذ فانه يصلى بوضوئه السابق . وهكذا فان أكثر

المصلين يصلون بالوضوء الواحد عدة صلوات فاذا حدث ما يبطل وضوءهم فحينئذ فقط يجب تجديد الوضوء ! . .

ويتحدث المؤلف عن شعور المسلم أثناء الصلاة فيقول :انه يفقد معنى الحياة الواقعية ويتخيل انه يحيا مع الله ويكون لنفسه مشهـــدا فاتنا عن الجنة كما يتمثل رؤى مهولة عن يوم الحساب . وهكذا يقضى المؤمن يومه في الصلاة امتثالا للآية ٥٦ من السورة ٥١ التى تقول : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وهو في هذه الجملة ينقض ما قاله في أول كلامه من ان غاية الصلاة هى الشعور بالخضوع المهين . والتناقض في كلام هذا المؤلف مما أكلنا عليه وشربنا ، ودلالته الواضحة هى انه دخيل على الكتابة والتأليف وانه يقحم نفسه فيما لا يحسنه ولا معرفة له به ، ولولا اننا أردنا ان نرد عليه بكلامه لما نقلنا هذه الفقرة ، إذ ليس فيها ما يستحق النظر غير التوهم والرجم بالظنون مع تكرار ما سبق له قوله من ان المسلم لا عمل له الا الصلاة ، والاستدلال بالآية الكريمة على ما لم ترد فيه وقد بينا المراد بها عند العلماء ، في فصل القرآن والعمل .

ولا يخلص المؤلف إلى الجواب عن السؤال الذى طرحه في عنوان هذا الفصل الا بالتكرار الممل لما قاله منذ البدء ، وهذا هو جوابه : « وتنتشر الصلوات على جميع مظاهر حياة المؤمن ، فيومه يبتدئ وينتهى بالصـــلاة ، واذا طغى الجفاف او اذا ظهر مرض او نزلت مصيبة فزع المؤمن مرة أخرى إلى الله وإلى الصلاة وفي الواقع ان الصلاة تستخدم كمخدر وهى وسيلة للاثراء بالنسبة لرجال الدين والبكوات » .

لقد كثر ما قال وأعاد ان الصلاة عند المسلمين هى عملهم اليومى ، وانها تستعمل في كل المواقف الحرجة التى تواجه الفرد او الجماعة في المجتمع الإسلامى ، فاذا كان قد ذكر صلاة الاستسقاء في هذه الفذلكة ، وهى ما يمكن ان يقال انه لم يصرح بها في كلامه السابق ، فانها داخلة في عمومه قطعا . ولا شك ان مدلول الصلاة عنده لا يختص بالقربة الفعلية ذات الاحرام والسجود كما يعرفها فقهاؤنا ، بل يشمل المعنى اللغوى الذى هو الدعاء ، وإلا لما ذكر اشياء لا تشرع فيها صلاة

كالاكل على ما سبق له وكالمرض هنا ، فكيف تتصور الصلاة اثناء الاكل الا ان تكون دعاء . وذلك انما هو التسمية قبله والحمد بعده ولا زائد ، وفي المرض يخفف عن المريض حتى انه يرخص له في الصلاة من جلوس وبالإيماء كما هو معلوم ، وعلى كل فمقصوده الاعظم هو ان يقول ان الصلاة مخدر وان المستفيدين منها هم رجال الدين والبكوات ! واذا اعتبر الصلاة مخدرا فلا عجب لان الشيوعيين يعتبرون الدين كله أفيون الشعوب ، ولكن الشعوب قد أفاقت من سباتها فرأت ان اعظم مخدر هو الشيوعية التى كانت تزعم لهم انها جاءت لانقاذهم من استغلال الامبريالية والبورجوازية فأصبحت اعظم حليف لهما ، ولم تزد على ان جردت المؤمنين من ايمانهم والاغنياء من ثرواتهم والملاك من املاكهم ،ونشرت الافلاس المادى والمعنوى بين جميع طبقات الشعوب وأرثت العداوة والبغضاء بين الأمم والدول ! .

والمضحك في قول حثالة الشيوعيين هو قوله : «ان المستفيدين من الصلاة هم رجال الدين والبكوات» علما بأن الإسـلام أولا ليس فيه رجال دين وان المسلمين كلهم رجال دين ونساء دين ، فالصلاة مطلوبة من الجميع وهى مما يتعلمه الصبيان في بيوتهم وبارشاد من اوليائهم ولا يحتـاجون فيها إلى معلم من خارج ، وتسعة اعشار المسلمين يؤدون صلواتهم منفردين بأنفسهم في بيوتهم ومعاملهم وحقولهم ومتاجرهم من غير توقف على واسـطة ممـا يسمى في غير الإسلام برجال الدين . والباقون الذين يؤدون الصلاة في المساجد خلف الإمام ، ولعله هو الذى يعنى هذه الحثالة برجال الدين ، لا ينتفع منهم إمام الصلاة بشئ مطلقاً لانه واحد منهم قدموه ليؤمهم ، ولو غاب لقدموا غيره ممن حضر فماذا في ذلك من الافادة له ، وخاصة الافادة المادية التى تعنى الشيوعيين ! .

وأعجب ما في هذا الكلام هو الزج بالبكوات في المستفيدين من الصلوات ، ان غباء المؤلف مما يبعث الرثاء ولكن أغبى منه الذين رشحوه للدفاع عن الشيوعية والهجوم على الإسلام ففضحوه وفضحوا أنفسهم في آن واحد .

ويختم المؤلف كلامه في هذا الفصل بقوله : «ان جذور الدين قد استؤصلت

منذ زمن بعيد في الاتحاد السوفياتي وان الذى ساعد على ذلك هو النجاحات المحصل عليها في ميادين العلم والتكنولوجيا وقد قل عدد الكنائس والمساجد ، وفي ايامنا هذه لا يرتاد المسجد الا الشيوخ العاجزون . . » يقول هذا فرحا مستبشرا ولكنه يعود فيقول : « ومع ذلك فكون المسلمين لا يذهبون إلى المسجد لايؤخذ برهانا على انهم قد تحرروا تماما من الإسلام والصلاة فهناك من لا يذهبون إلى المسجد ولكنهم يزاولون الشعائر الدينية في بيوتهم ويرغمون اطفالهم على الصلاة وينظمون بمناسبة الاعياد الدينية الحفلات ويضحون بالحيوانات في عيد القربان كما يقومون باعذار الاطفال طبقا لتعليمات القرآن والشريعة الإسلامية » .

ونحن نشكر المؤلف على هذه المعلومات السارة التى افادنا بها ولا ندرى كيف افلتت منه على تعصبه وانكاره للحقائق الثابتة . ونذكر له آية قرآنية تزيده غيظا وحنقا على القرآن . لانها تؤيد هذا الواقع الذى يؤذيه وتبشر بأن العاقبة ستكون للإسلام لا للشيوعية برغم ما بذلت وتبذل من جهود لصرف المسلمين عن دينهم وتحويلهم عن عقيدتهم وهى قوله تعالى : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) .

عيد الأضحى :

مهد الكاتب للكلام على عيد الاضحى بما يقوله بعض المفكرين الاجتماعيين في نشأة الإنسان البدائي وتكون العادات والطقوس الدينية لديه ، ومنها تقديم القرابين والضحايا إلى ما كان يقدسه ويؤلهه من مظاهر الطبيعة والقوى الخفية والاوثان والاصنام ، وهم يرجعون ذلك إلى عجز الإنسان أمام هذه القوى وما يشعر به من خوف من سطوتها التى لا تقهر ، فهو يتوسل إلى استجلاب رضاها وتجنب انتقامها منه ، بالقرابين والضحايا التى يقدمها اليها .

ولما كان باعث الإنسان على ذلك هو العجز والخوف فإنه لم يكن يفرق بين الآلهة والمردة من الجن والشياطين والارواح الخبيثة وغيرها ، ويعتقد ان

الآلهة فيها آلهة خير وآلهة شر ، وانها تتدخل في حياته بما يسوء ويسر ، فمن واجبه بل من اسباب الدفاع عن نفسه وسعادته وسعادة اسرته ، التودد إلى هذه الآلهة والتقرب منها بالضحايا والقرابين ومختلف الهدايا وكذا إلى القوى الشريرة الأخرى من العفاريت والكائنات الموهومة والخيالات .

ثم يقول هؤلاء المفكرون – ويسير الكاتب التقدمى في ركابهم –: انه لما تكونت الطبقات الاجتماعية ، صارت الطبقة الضعيفة المظلومة ، تعتقد بحياة أخروية تنتصف فيها من ظالميها ، والرهبان يؤكدون ان الإنسان خلق خاطئا ، فعليه ان يقدم ضحية لله ليغفر له خطيئته ، وتعليقنا على هذا التخيل المسمى بالتفكير أنه أولا مصادم للعقيدة الدينية الصحيحة والإسلاميةمنها بالخصوص ، لانه ينبنى على ان الإنسان وجد عبثا وترك سدى ، فبقى في عماية الجهل وظلمات الشرك ، يتلمس الطريق ولا يهتدى إلى الحق سبيلا ، والشياطين تعبث به والاوهام تعذبه ، ولا شفيق ولا رحيم ، فأين هذا مما جاءت به الاديان السماوية في بدء الخليقة وزكاه القرآن ، من ان الله عز وجل لما خلق آدم ، أبا البشر ، كرمه وعلمه ، وأسجد له ملائكته ونبأه فكان اول مرشد لبنيه وذريته من بعده ، إلى عبادة الله الواحد الأحد ، وسلوك الطريق المستقيم ، وعدم التورط في حبالة الجاهلية والخلط بين قوة الطبيعة المخلوقة ، والإله الخالق كما يقول هذا التفكير السقيم ؟ وما دام الكلام في امور غيبية لا يتوصل إلى معرفة حقيقتها بالظن والتخمين ، فأى عاقل يقدم هذه الافتراضات والاوهام على خبر السماء المنقول الينا بالتواتر جيلا عن جيل من اقدم عهود التاريخ ؟

وثانيا فان هؤلاء المفكرين لو كانوا هـــم الذين فطروا الإنسان وكونوه من اول يوم . لما زادوا على هــذا الترتيب والتنظيم الذى تخيلوه لتنقل الإنسان في مراحل تفكيره وبحثه عن حقيقة الوجود شيئا . الا ان واقع الحياة وتاريخ الإنسانية لحسن الحظ ، يكذبهم فلم تزل التواريخ تنقل الينا اخبار الإنسان وتطوره في مجال المعرفة والحضارة ، ونفوذه إلى اسرار الطبيعة وتحكمه فيها لصالحه ، منذ اقدم العصور ، مما يعارض على طول الخط هذه البدائية المزعومة والسذاجة

المفروضة. والآثار الباقية عن القرون الخالية تؤكد ما يرويه التاريخ، ومعطيات الحفريات في مواطن الامم والشعوب المنقرضة ، تفيد انها كانت على جانب من المدنية وسمو التفكير ، ينسف كل هذه الآراء والاحتمالات البعيـدة عن الواقع . هذا إلى ان شعوبا وقبائل في مجاهل افريقيا وآسيا وأمريكا واوربا كالاسكيمو من سكان القطب الشمالى ، ما يزالون يمثلون الإنسان البدائي المزعوم ، فلو ان الإنسانية كانت تتقدم بتقدم الزمان على هذا المنوال من تفكير القوم، لما بقيت هذه الشعوب والقبائل على جاهليتها الجهلاء ولكانت قد لحقت بقافلة الإنسانية ولو في تفكيرها الدينى على الاقل ، لكن الحقيقة هى ان المعرفة بالله سابقة على الجهل . وقد أتي بها النبيون والمرسلون ، لانها لا تعرف من غير طريقهم ، ولان الله عز وجل ما كان ليؤاخذ الإنسان الذى اختار التكليف ، قبل ان يدله على الطريق ، وذلك ما تصرح به الآية القرآنية الكريمة « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وقد تعترى الجاهلية طائفة من الناس او شعبا من الشعوب ، فيضل بعد الهدى ، ويغوى بعد الرشد ، لغلبة الشهوة والهوى على النفوس ، وذلك هو مدلول قوله تعالى في آية اخرى « ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون » .

ويسف هذا التفكير إلى حد السفاهة حين يزعم ان الاعتقاد بالحياة الاخروية نشأ مع تكون الطبقات الاجتماعية ، عند الطبقة المظلومة ، والحالة ان الاعتقاد بالحياة الاخرى هو من طبيعة الايمان بوجود الله والثقة في عدله ، وقد كان قبل وجود الطبقات وبعد وجودها ، اذا صح ان الطبقات لم تكن في وقت من الاوقات ، وهو موجود حتى في المجتمع الذى يقال انه قضى على الطبقية اى المجتمع الاشتراكى ، ولا يتعزى المسحوقون والمظلومون في هـذا المجتمـع بالذات ، الا بالإيمان بالعدالة الالهية يوم يقوم الناس للعرض والحساب ، أما ان الرهبان يقولون ان الإنسان ولد خاطئا ، فهذا من التحريف الذى أدخل على النصرانية لتبرير الاعتقاد بالصلب والفداء ، واعتقادنا معشر المسلمين ان الإنسان لا يؤاخـذ الا بما جنى ، وأن ما يزعمه النصـارى في الخطيئـة الكبرى

التى لزمت آدم وبنيه بالاكل من الشجرة التى نهي عنها إنما هو خرافة باطلة ، والله تعالى قد غفر لآدم عليه السلام هذه المخالفة ، كما في آيات عديدة من القرآن الكريم ، وليس اسخف من هذه العقيدة الا عقيدة الصلب الذى يقولون عنه انه كفارة عن تلك الخطيئة ، كأن الله تعالى عن قولهم عاوا كبيرا ، لم يستطع ان يغفر لآدم خطيئته الا بصلب ابنه او نفسه باعتبار الابن هو عين الأب في زعمهم ، ولكن اذا كان الأمر كذلك فكيف استطاعت الضحايا ان تكفر الخطايا التى يرتكبها الإنسان فيما بعد ، وقد يكون فيها من الفظاعة والشناعة ما يجعل خطيئة الاكل من الشجرة كلا شئ بالنسبة اليها ؟

نحن لا نناقش هنا العقيدة المسيحية ، وانما نعرض فكر الرجل او بالأحرى التفكير الذى يحمل المتناقضات ، وهو يجادل في أحقية الدين ، ثم لا نغفل عن قوله ان الاعتقاد بالحياة الأخرى من شأن الطبقة الضعيفة ، وما يلزم عليه من ان غيرها من الطبقات لا تعتقد بتلك الحياة ، فهل هذا صحيح ، وما من طبقة الا وهى أضعف ممن فوقها ، وكمثال على ذلك تروتسكى مع ستالين ؟ . . . !

بعد ذلك يقول السفير السوفياتي رحماتوف : « وكانت الضحايا في الزمن القديم من النساء والاطفال ثم صارت من العبيد وبعدهم من الحيوانات » وقوله هذا يخالف الماثور والرواية الصحيحة ، فان اول ما عرف من القرابين او من اوله قربان ولدى آدم عليه السلام وهما هابيل وقابيل ، وكان قربان هابيل كبشاً وقربان قابيل زرعاً ، فالتضحية بالحيوان والكبش بالخصوص هى الاقدم والاسبق ، والتضحية بالنساء كانت في مصر على ما يذكر التاريخ من ان المصريين كانوا عندما يتأخر وفاء النيل يرمون فيه بفتاة حسناء بعد ما يزينونها ويحتفلون لذلك اعظم احتفال . . وطبعا كان هذا قبل الإسلام ، فلما هموا بفعل ذلك بعد الفتح الإسلامى منعهم عمر بن الخطاب ، وقال: إن كان وفاؤه من عند الله فسيأتي ، وإن كان من عندياته فلا حاجة لنا به ، وهكذا لقنهم العقيدة الصحيحة وانقذ تلك النفس البشرية من الظلم الذى كان سيحق عليها ، ولكن

المؤلف (الديبلوماسى) لم يشر إلى هذه القضية من قريب ولا من بعيـــد ، لانه سيقر حينئذ بفضل الإسلام على الحرية الإنسانية ، وليس هذا من أغراضه ! .

كما ان الإسلام حرر العبيد ولم يعترف بنوع من العبودية مما كان يمارس قبل مجيئه ، وبالضرورة فانه لم يعرف تاريخه شيئا من التضحية بالعبيد . نعــم أبقى الإسلام على الاسترقاق او الأسر بعبارة أخرى في حالة واحدة وهى حالة الحرب ، فيمـــا اذا كان ذلك ضروريا ، لانه لم يكن هناك قانون دولى لتبادل الاسرى ، وليس من المعقول ان يطلق المسلمون أسرى عدوهم في حين ان العدو يسترق أسراهم ، فلما أدركت الإنسانية مغزى الغاء الرق في الإسلام وسنت الدول الغربية قانون تبادل الاسرى والغاء الرق ، لم يكن هناك مشكل بشأن هذه القضية في العالم الإسلامى ، وهذه السابقة العظيمة لتحرير العبيد التى جاء بها الإسلام لم يعرج عليها المؤلف ايضا لمعاداته له .

ويصل المؤلف إلى غايته المقصودة فيقول : « ان القرآن يقص أن النبي إبراهيم عليه السلام اراد أن يضحى بابنه اسماعيل ، ولكن سكينه كانت كليلة ، فلم يستطع أن يذبحه ، وارسل اليه في نفس الوقت ملكا يحمل كبشاً فكان هو الضحية ومن ذلك الحين صارت العادة أن يضحى الناس بالحيوان » .

وفيما حكاه المؤلف مخالفة للرواية الصحيحة ، فان السكين لم تكن كليلة ، ومن غير المعقول أن يعتزم إبراهيم التضحية بابنه ويأتي بسكين كليلة ، ولكـــن الواقع ان السكين كانت تنقلب في يده ولا تعمل عملها ، وكان الأمر يتعلق بامتحان إبراهيم وصدق ايمانه وقوة عقيدته واخلاصه لله ، فلما اظهر تصميمه وتنفيذ عزمه ، وظهر أيضا صبر الولد واستسلامه لقضاء ربه،افتداه الله بكبش فكان هو الضحيـــة والقربان ، على ما تعوده النـــاس من عهـــد آدم عليـــه السلام .

ومما تجب معرفته ان هذا الامتحان كان نتيجة رؤيا منامية رآها إبراهيم ، ومع ذلك فلم يتردد في تحقيقها هو والولد المطيع . . . ومن العجب العجاب ان ينتقد بعض الملاحدة هذه القصة في حين انهم ينوهون بكثير من أمثالها مما يرتكب

في الحروب العدوانية ، ويرونه شجاعة واخلاصا وتضحية ، وهو لم يكن الا تكريسا لمطامع وقضايا استعمارية وتسلطية صرف ، في حين ان هذه انما يعبر بها عن صدق الإيمان بالله وعمق الشعور الديني والمبادرة إلى طاعة الخالق ولو كانت شاقة على النفس .

وأغرب من ذلك من تأخذه الشفقة على الحيوان وينكر التضحية به ، كأن ملايين الرؤوس من الحيوانات التي تذبح يوميا في مختلف بقاع العالم ، لا تعد ضحايا وانما الضحية التي ينوي ذابحها التقرب بها إلى الله ، وان كانت هي أيضا ستؤكل ويعطى منها للفقراء ويكون مصيرها هو مصير الملايين المشار اليها ، فلم تختلف عن غيرها الا بهذه النية الحسنة !

ولا نمر دون ان نشير إلى ما في كلام هذا المؤلف من المؤاخذة اذ جعل ابداء التضحية بالحيوان من قصة إبراهيم ، وهي كما نبهنا عليه من قبل ، كانت منذ بدء الخليقة ، وكانت كذلك بكبش ، ولا أدل على ذلك من امتحان إبراهيم عليه السلام بهذا الامر ، فانه لم يكن معهودا ولا معمولا به ولو كان كذلك لما حمل محمل الامتحان واستغرب غاية الاستغراب فإذا كان المؤلف اخذ التضحية بالاطفال في الفقرة السابقة عنه من هذه القصة ، فانه مخطئ ومستدل بما لم يقع ! . . ويتعرض هذا الكاتب للكلام على عيد الاضحى فيقول انه يقترن بخرافة مضحكة ، وهي اعتقاد المسلمين ان الضحايا من بقر وغنم في هذا العيد ستكون مطايا لهم للجواز على الصراط الذى هو قنطرة فوق جهنم ، أرق من الشعرة وأحد من السيف ، وسيجدونها في انتظارهم عند القنطرة ، فتنقلهم سالمين إلى الجنة ، وهذا الكلام فيه من التزيد والاختلاف وسوء الفهم وعدم التروي ، ما لا يصدر الاعن ملحد متعنت مثله ، وهو أشبه بكلام العوام منه بكلام الخاصة ، الذى يضع المؤلف نفسه بينهم ، فلم يرد فيه ما يعتمد عليه باستثناء الصراط ، فانه حق ، ويجوزه العباد على قدر أعمالهم ، فمنهم من يجوزه كالريح ومنهم كالبرق ومنهم كأجاويد الخيل فناج مسلم ومخدوش مكردس في جهنم كما في الصحيح ، ثم هذا على سبيل التقريب والتمثيل ، والا فأمور الآخرة لا تقاس

على امور الدنيا ، ومـــا يروى من ان الضحايا هى المطايا فالمراد به المجاز لا الحقيقة ، ومعناه ان من اخلص قربته إلى الله كان ذلك سببا في دخوله الجنة ومن أشرك بالله شيئا دخل النار ، ويدل عليه الحديث الذى اخرجه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد والبيهقى في شعب الإيمان عن طارق بن شهاب رضى الله عنه قال : قال سلمان دخل رجل الجنة في ذباب ، ودخل رجل النار في ذباب ، قالوا وما الذباب ، فرأى ذبابا على ثوب انسان ، فقال هذا الذباب ، قالوا وكيف ذلك ؟ قال : مر رجلان مسلمان على قوم يعكفون على صنم لهم ، لا يجاوزه احد حتى يقرب له شيئا ، فقالوا لهما : قربا لصنمنا قربانا ، قالا : لا نشرك بالله شيئا ، قالوا قربا ما شئتما ولو ذبابا فقال أحدهمـــا لصاحبه ما ترى ؟ قال احدهما لا أشرك بالله شيئا ، فقتل فدخل الجنة . فقال الآخر بيده على وجهه (اى مر بها عليه) فأخذ ذبابا فألقاه على الصنم فخلوا سبيله فدخل النار ذكره بلفظه في الدر المنثور عند قوله تعالى : « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا » فالمغزى من الضحية واخلاصها لله هو عقيدة التوحيد والتبرؤ من الشرك بكل وجه ، ما دق منه أوجل ، وذلك هو الطريق إلى الجنة وبذلك كانت الضحايا بهذا المعنى مطـــايا اليها ، ومن اين لفهم غليظ ، وعقل محجوب كعقل هذا الملحد ان يدرك المعاني الدقيقة والمدلولات البليغة للتراكيب والجمل العربية الراقية وأيضا فان مما يقصد بذلك اللفظ ان تكون الضحايا سليمة من العيوب وصحيحة لا مريضة بحيث لو كانت مما يركب كالجمال لركبت فكانت مطايا إلى الجنة بهذا الاعتبار ، وقد جاء في الآية الكريمة (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ، كذلك سخرناها لكـــم لعلكم تشكرون . لن ينال الله **لحومها** ولا **دماؤها** ولكن يناله **التقوى منكم**) .

ويزيد الكاتب قائلا : « عيد الاضحى يشتمل على عبادة اخرى هى الحج إلى مكة ، والحاج يلزمه ان يشترى ماء زمزم والتمر ، وعليه ان يضحى بكبش او ثور ، باعتقاد ان هذه الاشياء تشفى الامراض ، وهذا هو سبب زيارة الناس للحاج لما يرجع إلى بيته ، ليشربوا من الماء ويلوكوا التمر بأفواههم » وفي كل

ما يكتبه المؤلف يبين عن جهله الفادح بما يخوض فيه ويتناول الكلام عليه ، وبما أنه سكت عن الحج ولم يقل عنه شيئا ، لانه بذلك سيعترض على الحج اليومى الذى تنظمه السلطات الشيوعية للسكان في الاتحاد السوفياتي جبرا عليهم إلى ضريح لينين ، فانا انما نرد على ما قاله في وجوب شراء الحاج لماء زمزم والتمر ، والتضحية بكبش او ثور حسب تعبيره ، وهذا كله باطل لا صحة له ، فانه لا يجب على الحاج شيء من ذلك ، وماء زمزم مبذول لكل أحد سواء كان حاجا ام غير حاج ، وأما التمر فمن شاء اشتراه ومن لم يشأ فهو بالخيار من أمره ، وانما يشتريه في الغالب من لا يكون من منتجات بلاده ، وشراؤه على العموم هو كما يشترى كل مسافر إلى اى أرض ، ما يعجبه من طرفها وبضائعها لنفسه او لاقربائه وأصدقائه ليقدمه اليهم هدية عند رجوعه من سفره . وأما الضحية فقد قدمنا الكلام عليها فلا نعيده ، وهى في أصلها لا تجب على احد ، وان كان حكمها في الحج يختلف عنه في غيره احيانا .

ومن بلادة هذا الكاتب ان يعتقد ان زيارة الناس للحاج عند قدومه ، باعثها هو ان يشربوا من ماء زمزم ويتناولوا التمر ، ناسيا او متناسيا ان من الآداب العامة الشائعة بين الناس كلهم ان يزوروا القادم من سفر طويل وخاصة أهله وأصدقاؤه ، ومن قال له ان الحاج يقدم إلى زائريه ماء زمزم والتمر ؟ والواقع ان غالب الحجاج انما يقدمون إلى زوارهم ما يقدمه غيرهم من المزورين ، شايا او قهوة او طعاما ، ولو اراد الحاج ان يقدم لزواره ماء زمزم فكم يكفيه من ذلك ، وهو لا يحمل الا قارورة منه او قارورتين ان حملهما ؟

ومع ذلك فأى الناس لا يرغب في شرب ماء نابع من بئر ربما كانت اقدم بئر في العالم ، وقد شرب منه الانبياء والعلماء وأماثل الناس عبر تاريخ يزيد على ٤٠٠٠ سنة ؟

ان الرقعاء (بالقاف) في هذا العالم امثال المؤلف يحسدون المسلمين على ما لهم من عراقة في التاريخ والحضارة والمعرفة والادب . وأصالة في الدين والعلم والفن والتراث الإنساني بعامة ، فلا يفتأون يعيبون عليهم ما لا يعاب

وينتقدونهم بما هو مردود عليهم ، والحسد لا يكون الا على نعمة ، وهو بعكس مراد المبتلى به انما يظهر ما خفى من فضائل المحسود كما قال الشاعر :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

ومع هذه الحرب المعلنة على الإسلام وتعاليمه وثقافته فان أعداءه لا يستغنون عن الورود من مناهله في جميع المجالات حتى في (الماورائيات) التى يجعلونها هدف نقدهم وطعنهم ، وهذا (دانتى) شاعر ايطاليا العظيم انما خلد بكوميديته الالهية كما يسمونها وهى انما اقتبس جوهرها من هـــذا الذى عبر عنه صاحب رسالة هل يمكن الاعتقاد بالقرآن بالخرافة المضحكة ؟

ويختم المؤلف كلامه عن الحج بأنه وسيلة لإثراء باعة ماء زمزم والتمر والحيوانات وكذلك جميع الاعياد الإسلامية ، ورمضان الذى يتعطل فيه العمل بسبب الصيام ، فحق هذه الاعياد ان تترك ، لانها ضد مبادئ العمل والضمير المهنى الشيوعى ! وهو كلام ممجوج طالما ردده دعاة الالحاد وأعداء الشعب الذين يريدون ان يجردوه من اقدس ما عنده ، وهو عقيدته وخلقه والتزامه ، والا فلماذا يسكتون عن الاثراء من وسائل الدعارة والخمر والقمار وأعتدة الحرب والقتال والدمار ، على تسليمنا ان الحج وسيلة للاثراء ؟ واما الصيام فقد ثبت تاريخيا انه عكس ما يقولون ، وانه وسيلة لتربية الارادة والعزيمة وسلامة الجسم والروح من كثير من الآفات الصحية والنفسية ، وأن أعظم الأعمال والمشاريع الكبرى التى قام بها المسلمون في تاريخهم تمت في رمضان . والمضحك في كلامه هو قوله ان هذه الاعياد ضد الضمير الشيوعى ، فلتكن ضده ، كما انه ضد الضمير الإسلامى ، ويا للعباطة التى جعلت الضمير الشيوعى يتحكم في اعياد الناس واوقات فرحهم كأنه قضاء سماوى ! .

وهو إلى هذا ينتقد بعض العادات المنتشرة بين التتار كختان الاولاد وثقب الانف والاذن من البنات ، وفاته ان ختان الاولاد ليس قاصرا على التتار بل هو سنة عند المسلمين جميعا ، ومعمول به عند اليهود أيضا ، وكان معمولا به عند النصارى كذلك والمسيح نفسه قد ختن ، ولكنهم تركوه ، وأما ثقب الاذن لوضع

الحلى عند النساء ، فهو امر شائع عند جميع الامم تقريباً ، شرقيها وغربيها ، بخلاف ثقب الانف ، وان كان ليس خاصا بالتتار ، فهو عند الهنود أيضا معروف ، ولا ندرى كيف يدفع الفضول بهذا « الديبلوماسى المزعوم » لنقد عادات الشعوب والتحامل عليهم بذلك ، وهو امر مناف للذوق واحترام شعور الناس ؟

وهنا أحب ان أذكر له حكاية في الموضوع عساه ينتفع بها في تهذيب اخلاقه ، وهى ان سائحا أوربيا مر بصينى يضع على قبر قريب له صحنا من الأرز ، فقال له مستخفا : متى تعتقد ان صاحب القبر سيقوم لأكل الأرز ؟ فقال له حين يقوم من تضع انت على قبره باقة من الورد ليشمها ! .

وفي النهاية وهو يشيد بأعيـــاد الثورة الشيوعية التى يجب ان تحل محل الاعيـــاد الإسلامية ، أبدى أسفه العميق لكون معظم مسلمى الاتحاد السوفياتي ما يزالون ينتخبون الاكباش السمينة للتضحية بها في عيد الاضحى ، وهـــذا خبر سرنا كثيرا فنحن نشكره عليه !

عيد المولد :

بعد عيد الاضحى تعرض الكاتب للمولد النبوى الشريف ، فقال : « يحتفل المسلمون بعيد المولـــد في الشهر القمرى ، ربيع الاول ، وهو عيد يندرج في التاريخ القصصى لميلاد النبي محمد ، وكان تحديده على سبيل التحكم ، في وقت متأخر جداً عن الحوادث التى بنى عليها . واحتفل به قديما في اول يوم اثنين من ربيع الأول » وعلى هذه الفقرات عدة مآخذ ، اولها انهيجعل هذا العيد مندرجا في التاريخ القصصى لميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ذلك انه لا أساس له ، لان المولد النبوى من أصله لا يثبت تاريخيا ، وانما هو من جملة القصص التى تحكى ويتحدث بها وليس لها حقيقة ولا وجود في الواقع . وقصده هو نفى وجوده صلى الله عليه وسلم بالمرة وبالأحرى انكار مولده الشريف كما سيصرح بذلك فيما يأتي له . وثانيها قوله ان تحديد تاريخ المولد كان على سبيل التحكم

بناء على تأخره عن الاحداث التى صاحبت المولد ، وهو مغالطة مفضوحة ، لان الذى تأخر هو الاحتفال بالمولد لا تحـــديد تاريخه، والا فان تاريخ ميلاده عليه الصلاة والسلام عام الفيل ، وفي شهر ربيع الاول منه ، لا يختلف فيه اثنان ؟ فأى تحكم في هذا الامر الذى هو اجماع لا خلاف عليه ؟ والمؤلف رأى كلام الناس في ان عيد المولد والاحتفال به ، انما أحدث في القرون المتأخرة ، فحوله إلى تاريخ المولد نفسه ، مغالطة منه للقارىء ، واستغلالا له في تأييد زعمه ان المولد الشريف انما هو نوع من التاريخ القصصى للنبي صلى الله عليه وسلم . وثالثها دعواه انه احتفل بالمولد قديما في اول يوم اثنين من ربيع الاول وهى مناقضة لما قاله قبل من انه انما وقع تحديد تاريخه في وقت متأخر ، فاذا كان قد احتفل به قديما ، فقد بطل انه لم يحدد تاريخه الا مؤخرا ، ثم قوله ان ذلك كان في اول يوم اثنين من ربيع الاول ، هو مما يدل على سوء فهمه للنصوص التاريخية ، فقد قرأ ان ولادته صلى الله عليه وسلم كانت يوم الاثنين ليلة الثاني عشر من ربيع الاول على المشهور ، فجعلها يوم اول اثنين من الشهر المذكور ، وهكذا كلام هذا الكاتب ، اما تحريف عن قصد وسوء نية ، واما عدم فهم وقلة ادراك .

ثم تابع كلامه بقوله : « ان الوعاظ المسلمين ينظمون الصلوات في ايام مختلفة من هذا الشهر احتفالا بمولد الرسول ، وبعض العلماء يزورون المؤمنين في بيوتهم ويقومون بالصلاة التى تصحبها احتفالات وافراح ، تكلف المؤمنين نفقات واسرافا غير معقول ، وفوق ذلك فإن صاحب الدار يدفـــع للعالم مبلغا كبيرا من المال ، كما يدفع مبالغ أخرى لمن حضر الاحتفال من المدعوين ، وهؤلاء بدورهم يدفعون للعالم مما أخذوه من صاحب الدار . الامر الذى يخلق عجزا في ميزانية رب البيت ولربما اتي على مصروفه الشهرى بكامله ، فتبقى عائلته في ضائقة لا تجد ما تسد به حاجتها . ولا يخفى ما في هذا التبذير والنفقات المرهقة من التأثير على العمل ونتيجته . وبذلك تكون هذه الاحتفالات والاعياد الدينية عملا مضادا لبناء الشيوعية » .

ان هذا الكلام على طوله فارغ فراغ عقل كاتبه من اى مضمون يستحق الاهتمام ،

ومع ذلك فعلينا ان نتتبعه لإبطاله جملة جملة ، لانه وهو دعاية سخيفة للشيوعية ، ربما يجد من بسطاء العقول من يتقبله بدون تفكير ولا تأمل .

فقوله ان الوعاظ المسلمين ينظمون الصلوات في شهر المولد ، ان كان يريد به الصلاة المعروفة في الإسلام ، فهو كذب مردود عليه ، لانه ليس هنـــاك صلاة مخصوصة بهذا الشهر ولا غيره ، عـــدا صلوات التراويح في رمضان ، وباقي الشهور الصلوات فيها واحدة ، فريضة كانت او نفلا . وان كان يريد به الصلاة بمعنى الدعاء ، وهى La Prière بالمفهوم الاجنبي فانه كذلك أمر مستبعد هنا ، لان ما يقع في الاحتفال بالمولد هو دراسة سيرته صلى الله عليه وسلم وقراءة قصة المولد ، وهى غير الدعاء ، ومثل هذا يقال فيما نسبه للعلماء الذين يزورون بيوت المؤمنين من قيامهم بالصلاة في احتفالات المولد

اما ما زعمه من ان هذه الاحتفالات تكلف المؤمنين نفقات باهظة تأتي على ميزانيتهم الشهرية ، وانهم يعطون للعالم مبلغا كبيرا من المـــال ، وكذلك للمشاركين في الاحتفال الذين يعطون بدورهم ما استفـــادوه من صاحب البيت للعالم الذى يدير الاحتفال ، فإنه من تخريف هذا الكاتب وتهويله وتشنيعه الذى يريد به التاثير على قارئه وحمله على استنكار الاحتفال بالمولد النبوى ، والحال ان الأمر أكثر بساطة مما ذكر ، وهو يحمل في طياته صورة للحياة الضنكة التى يعيشها المسلمون في الاتحاد السوفياتي .

ان هؤلاء المبتلين بالحكم الالحادى الكافر بكل دين ، يعبرون باحتفالاتهم الدينية ، ومنها الاحتفال بالمولد الشريف ، عن تعلقهم بدينهم ومعتقدهم وتشبثهم بالحياة الروحية التى يحاول الحكـــام الماديون ان يبعدوهم عنها بكل وسيلة ، وهذا ما يغيظ الكاتب وكل شيوعى متحمس للمذهب الماركسى اللنينى ، فيجعله يتقول على المسلمين وعلمائهم ما ليس له اصل ويرميهم بكل تهمـــة باطلة . قصد تجريحهم وتسويء سمعتهم والطعن في الدين عموما والإسلام خصوصا .

واما ما يتعلق بالنفقات الباهظة المدعاة من الكاتب فانها مبالغة منه ومجازفة

لا تجوز الا على من يجهل الحالة المادية للمواطن السوفياتي ، والفرد المسلم بالخصوص الذى يعيش تحت الحكم الشيوعى وهل أبقى هذا الحكم لأحد ما يتوسع به في النفقة ويجعله يبذر ويسرف ويعطى للعالم المبالغ المالية الكبيرة ، وللمدعوين الذين يحضرون الاحتفال فيتبرعون هم أيضا للعالم بما اعطاهم اياه صاحب الدار ، وهم ممن يقولون بلسان حالهم : أعلى احوج منا ؟ ! .

أما ان يصل الحال إلى استهلاك ميزانية الشهر كلها في هذا الاحتفال وبقاء العائلة على حالة لا تجد ما تسد به حاجتها ، فهذا دليل على ضآلة هذه الميزانية وكونها لا تسمن ولا تغنى من جوع ! . .

وقد حضرنا في احتفالات من هذا القبيل ببلد شيوعى هو في الجملة اوسع حالا واقل مضايقة من بلاد الكاتب ، فكان ما يقدم للحاضرين هو كاس من الحلو اى الماء المجعول فيه قليل من السكر ، وكعكة مصنوعة من الدقيق الساذج فقط لا غير ، فأين هو هذا الاسراف الذى يؤثر على العمل ويضاد بناء المجتمع الشيوعى ؟ .

عيد رجب :

هكذا يعبر المؤلف عن حادث الاسراء والمعراج الذى يحتفل به المسلمون في رجب ، وهو تعبير لا يعرفه المسلمون اطلاقاً ، فليس عندهم عيد يعرف بعيد رجب ، بل ان الاكثرية المطلقة من المسلمين لا تستسيغ حتى تعبير موسم ، ومدلوله اقل بكثير من مدلول عيد ، عند إحياء ذكرى الإسراء والمعراج ، فالمؤلف يتكلم عن اشياء معينة ومعروفة ، ولكنه يسميها بغير اسمها تعصبا منه وتنطعا ليتأتي له الكلام عليها بحسب هواه وفي ذلك يقول : « يحتفل المسلمون أيضا بعيد رجب ، او المعراج الذي يعنى صعود محمد إلى السماء السابعة ليكلم الله ، والقصة تقول ان محمدا ركب في هذه الرحلة حصانا غريبا يسمى البراق فمر به على اسرائيل ، وكلم الله بالعربية في موضوع دين جديد ثم رجع إلى الأرض في برهة قصيرة ؟ والمسلمون إلى اليوم يتقبلون هذه الخرافة كأنها حقيقة

واقعة » وهذا الكلام ينقصه التحرير بل الصدق ، فأما عن قوله عيد رجب فقد بينا ما فيه . وأما عن كون المعراج هو صعود محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء السابعة فإن فيه مجاوزة السموات الست التى قبل السابعة وقد كان العروج اليها واحدة فواحدة بحسب ترتيبها الطبيعى حتى وصل إلى السابعة ، وليس كما يفهم كلامه انه كان رأسا إلى السماء السابعة وقد أغفل الاشارة إلى الاسراء وهو الرحلة إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء ، ولعله كان يلمح اليه بقوله فمر به على اسرائيل ، والمراد المقدس عاصمة فلسطين اما اسرائيل فلم يكن لها وجود حينئذ ، وانما اقحمها الكاتب هنا تعاطفا مع الصهيونية العالميـــة التى هى وليـــدة الشيوعية .

واما ان الرسول كلم الله عـــز وجل باللغة العربية وسياق الكاتب له مساق الاستغراب فلعله كان يريد ان تقع المكالمة باللغة الروسية ، وبذلك يزول الاستغراب ، ولكن من المؤسف ان الروسية وقتئذ لم يكن لها وجود او ان تكوينها كلغة لم يتم بعد ! .

وقوله ان الكلام كان في موضوع دين جديد ، يدل على جهل المؤلف بوقائع القصة وبتاريخ الإسلام من أصله ، فان هذا الدين كان قد تقرر ومر على قيام دعوته اثنتا عشرة سنة . وكلام المؤلف يعطى ان بدء تشريعه كان في المعراج، وهو خطأ فادح ، بل ربما أفهم انه دين ينسخ الإسلام نفسه ، وذلك لما في عبارته من قصور .ومعلوم ان الامر الذى شرع في المعراج هو الصـــلاة لاغير ، وهو امر لا يصح ان يعبر عنه بأنه دين جديد ! . . هذا ما يرد على وصف الكاتب لقصة المعراج من الاخطاء ، واما رايه فيه فقد اجمله في تعبيره عنه بأنه خرافة وزاده تأكيداً بقوله : « كل سوفياتي يعلم انه لا توجد قوة فوق الطبيعة في السماء وان البراق لم يوجد اصلا ، وان العقل البشرى المحيط بجميع جوانب الطبيعة ، وصل إلى معرفة جميع اسرار السماء » يعنى فلم يجد هناك مايدل على وقوع حادث المعراج كما يقول المسلمون ! . .

ما اسخف عقل هذا الكاتب وأضعف حججه التى تكون عليه لا لـــه !

فمن من الاغبياء في العالم يقال له ان السوفيات لا يسلمون بهذا الامر اى امر كان فيعتبر ذلك حجة على انتفائه ؟ ومـا السوفيات الا مجلس العمال الحاكم في روسيا ، وان توسع في اطلاقه على ما يشمل اتحاد الجمهوريات في هذه البلاد . ومن المعلوم ان مجلس العمال هذا يتكون من اقطاب الشيوعية في روسيا ، وهم بحكم شيوعيتهم لا يقرون بوجود الإله ويكفرون بكل دين ، فلا يصح ان يكونوا حجة على ما يسمى بالاتحاد السوفياتي نفسه الذى لا يمثلون الا نحو عشرة في المائة من سكانه فأحرِى على سكان العالم مسلمين وغير مسلمين ! . . ومن القواعد المقررة عندنا نحن المسلمين ان الحق لا يعرف بالرجال والقرآن الذى يهاجمه محامى الشيوعية يقول : (هاتوا برهانكم) ويعيب على من يقولون : (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) فكيف يحتج علينا بمجلس السوفيات في معرض نقد القرآن وما جاء به من الآيات البينات ؟ وهذا مع تسليم ما زعمه من ان كل سوفياتي يعرف ان ليس هناك قوة فوق الطبيعة ، فان هذه الكلية تقتضى ان كل سوفياتي عالم من علماء الطبيعة وانه اثبت المقولة المزعومة ، ودون ذلك خرط القتاد .

كما ان قوله ان العقل البشرى وصل إلى معرفة اسرار السـماء هو من ارسال الكلام على عواهنه ، بل هو بكلام العامة اشبه ، ولا غرو فقد برهن لنا هذا المؤلف اكثر من مرة على انه عامى ساذج ، ويرحم الله القائل :

علوم الأرض لم تصلوا اليهـا فكيف بكم إلى علم السمـاء ؟

ثم نسأل حضرته ماذا يريد بالسماء ؟ ان كانت عنده هى المجال الفضائي فانه باعتراف علماء الفضاء انفسهم ما زال لم يكشف لهم عن بعض اسراره بله جميعها . ولذلك ما تزال الدراسات متتابعة والاقمار الصناعية والمراكب الفضائية ترود جوانب الفراغ وتأتي بقليل من المعلومات عن هذا الكون الفسيح ، وان كان يريد السماء بالمعنى الغيبي الذى تحدثت به الاديان السماوية ، فان المسكين يكون قد أخطأ خطأ فادحا لا يشبهه الا خطـأ جاجارين في حسبانه ما وصل

اليه من أجواز الفضاء هو السماء التى هى من عالم الملكوت ، وقال كلمته الرعناء التى استنكرها كل من سمع بها من العقلاء ! . .

وأرى من المناسب ايراد الابيات الرجزية التى قلتها عندما صدرت تلك الكلمة المظلمة من رائد الفضاء السوفياتي وهى بعنــوان : زلــة جاجارين ، ونصها :

وقال رائد الفضا من جهلــــه	ما ان رأيت الله في الســـــماء
أى سماء رادها ؟ وهل درى	أن السمــآ ليست من الفضـــاء ؟
وهل درى بأنه سبحانــــــه	ما إن يُرى بهيْكل الفنـــــاء ؟
قال لموسى الطُّهْر : لن تراني	فكيف بالحصّـــاد والبنـــاء ؟
وهل درى أن السماء لم تكن	قط مقَـرّ الله ذي الســـناء ؟
فالله فوق عرشه قد استـــوى	وأين عرشـــه من الأجـــواء ؟
وقــد نهى نبينـــا محمــــــد	فيمـــا روى عنـــه ذوو الأنبـــاء
عن المفـــاضلـــة بين من رقي	إلى السمــآ ومن هـــوى في الماء
فإن ربنا تعـــالى معنــــــــا	بعلمـــه المحيـــط بالأشيــــــاء
في كلٍّ ما أيْنٍ نكون فيـــه	وكلٍّ مـــا آن مـــن الآنـــــاء
يازلـــةً مـــا إن لهـــا إقالة	وهل لـــداء الجهـــل من دواء
فقَسماً لو أن (لايكا) نطقـــت	لَمـــا أتت بهذه العـــــوراء

ويقفز الكاتب بعد هذه الاحكام الاعتباطية إلى ما هو اكثر تهافتا وأشد مخرقة فيقول : « العلم لا يثبت وجود النبي محمد ، ويرفض جميع الروايات المنسوبة اليه ، وأحيانا المسلمون انفسهم يسخرون من هذه الخرافة» ويستدل على قوله هذا بحكاية ينسبها إلى من سماه (على اكبر) من اهل سمرقند ، وهى ان مسلمين أحدهما يسمى محمدا وثانيهما أحمد ، خرجا في رحلة لطلب الرزق وان أحدهما كان له حمار فنفق فدفنه ، وأقام على محل دفنه مشهدا فصار الناس يزورونه ويقدمون له القرابين والهدايا ، وكان ذلك في صحراء العرب وفي غياب رفيقه عنه . فلما رجع رفيقه وسأله عن صاحب القبر قال له انه لا يوجد بـــه

الا عظام مركوبه صاحب الأذنين الطويلتين ولكنه يقول للناس الذين يزورونه : انه قبر أشرف رجل ، وهو محمد بن عبد الله . وقد آمن الناس بهـذه الخرافة وصاروا يتقربون إلى القبر ويبنون المنازل حوله ، وهكذا وجدت البلدة المسماة بالمدينة والقبر المزعوم انه قبر محمد ! . . .

ان المرء ليحار في شأن هذا المعتوه كيف اصبح سفير بلاده ، وهى ما هى علما وتقدما وحضارة؟ وكيف سولت له نفسه ان يكون من رجال القلم والتأليف وهو بهذه العقلية السخيفة التى يتحاشى عنها أجهل الجهلة وأغبى الاغبياء؟ ! ولئن كانت هـذه هى التربية التى يتلقاهـا الشيوعيون في الاتحاد السوفياتي والمعلومات التى يلقنونها عن رجال التاريخ وتاريخ الاديـان والحضـارات والشعوب ، فاننا لا نحجم عن القول بأن هـذا اعظم ظلم اجتماعى بل اكبر جناية على العقل البشرى تمارس في العصر الحاضر ، ولا تشبهما فاشية ولا نازية ولا صهيونية ، لأن هذه وان بلغت قمة التعصب والعنصرية واحتقار الغير فانها لم يبلغ بها العجرفة إلى انكار واقع التاريخ والمتواتر من الاخبار والمعلومات القطعية ، ولولا اننا نعرف الاتحاد السوفياتي ولنا فيه أصدقاء من العلماء والمؤرخين لا يقرون هذا الهراء ، لساء ظننا به لمثل السوء الذى يعطيـه هـذا الإمعـة عنه !

وليت شعرى ما هو هذا العلم الذى ينكر وجود النبي محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ان كان هو العلم الطبيعى المعبر عنه بالسيانس كما جاء في كلام الكاتب La Seince فليس ذلك من موضوعه على حسب ما بيناه في فصل كيف خلق الله العالم ، وان كان هو علم السير والتاريخ وتاريخ الأديان ، وهو الذى يرجع اليه في هذا الموضوع فان آلاف التواريخ التى وضعت بمختلف اللغات قديما وحديثـا تتحدث عن وجود النبي محمد صلى الله عليـه وسلـم ، ومولـده وحياته قبل البعثة ، وبعثته ودعوته ، وما لاقاه من قومه من التكذيب والمقاومة ، واضطهـاد اصحـابه وهجرتهم اولا إلى الحبشة فرارا بدينهم من الفتنة ، ثم هجرته هو واصحابه إلى المدينة وقيام المجتمع الإسلامى الاول في هذه المدينة ،

والاصطدام الاول الذى وقع بينه وبين اهل مكة وهو المعروف بغزوة بدر ، والغزوات التى تلتها إلى فتح مكة واكمال الدين الذى جاء به ، وقد كان ابتداؤه بنزول أول آية من القرآن عليه في غار حراء إلى ان تكامل نزوله وحج عليه الصلاة والسلام حجة الوداع ، في السنة التى توفي فيها وقد حضر معه في هذه الحجة مائة وأربعة وعشرون ألفا من المؤمنين . . . كل هذا وغيره من التفاصيل المتعلقة بحياته الخاصة والعامة ، مما احتوته التواريخ الخاصة والعامة كذلك ما كتب منها من طرف المسلمين ومن طرف غيرهم ، وتناقله الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، وقد برز بالطباعة الكثير منه مما ألف قبل ظهور الطباعة ، وبقى مثله او اكثر منه في رفوف الخزائن العلمية ينتظر أن يرى النور في يوما ما ، ولحد الآن ولا يزال ذلك مستمـــرا إلى ان يرث الله الأرض ومـــن عليهـــا ، لا يفتــأ الكتاب والمؤرخون مسلمين وأجـــانب يؤلفون الكتب والتواريخ المختصرة والمسهبة عن حياته صلى الله عليه وسلم تمجيداً وتنويهـــا ، وربمـــا نقدا وتجريحـــا ، ومع ذلك فلم يقل احد منهم انه صلى الله عليه وسلم لم يثبت وجوده تاريخيا ، ولا رفض ما ينسب اليه من أعمال وأقوال ، وجهد في سبيل تبليغ رسالته ، وتأسيس الدولة الإسلامية ، واثره في خروج العرب من جزيرتهم وفتح اقطـــار العالم وانشاء الحضارة العربية التى بذت جميع الحضارات التى كانت قبلها ، ومنها انبثقت الحضارة الغربية الراهنة .

بل ان المؤرخين أجمعوا على انه لم يبلغنا عن نبي من الانبياء من المعلومات ما بلغنا عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وان حياته منذ نشأته إلى وفاته معروفة بالتواتر للجميع ، ولا كذلك حياة المسيح ولا حياة موسى عليهما السلام ، وهما اكثر الانبياء شهرة واتباعا بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، فإننا لا نعرف عنهما الا قليلا وقليلا جداً ؟ فأين ذهـب بعلم مؤلف كتاب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ومعرفته وثقافته العامة التى أهلته لأن يكون سفيرا لبلاده ، وهو في الحقيقة سبة عليها ووصمة في ديبلوماسيتها ومثـــل يضرب في الجهالـــة والطيش وقلـــة الحياء ؟ ! . . .

ويطول بنا الكلام لو أردنا ان ننقل كلام المؤرخين وكتاب التراجم في هذا

الصدد ، فلنقتصر على كلمة واحدة من آخر ما وقفنا عليه ، وهى للمستشرق الانجليزى (باسورث سميث) قال : « ترى الشمس هاهنا بارزة بيضاء تنير اشعتها كل شيءٌ ، وتصل إلى كل شيءٌ لا شك ان في الوجود شخصيات لا نعلم عنها شيئا ، ولا نتبين حقيقتها ابدا ، او تبقى منها أمور مجهولة ، بيد ان التاريخ الخارجى لمحمد (صلى الله عليه وسلم) نعلم جميع تفاصيله من نشأته إلى شبابه وعلاقته بالناس وروابطه وعاداته ، ونعلم اول تفكيره وتطوره ، وارتقائه التدريجى» إلى ان يقول : « وعندنا كتابه (القرآن) لا مثيل له في حقيقته وفي كونه محفوظا مصونا ، وانه لم يشك احد في قيامه على اساس الصدق شكا يعتد به ، وهو عندنا ممثل لروح عصره ومرآة لبيئته » (١) .

ثم نقول ان الحكاية التى نسبها لعلى اكبر الذى زعم انه من اهل سمرقند هى حكاية متداولة معروفة في بلاد العالم الإسلامى لكنها تساق مساق النقد والتذكير والايقاظ لعباد القبور والمتعلقين بها والمستغلين لها ، وهم كثير في كل الشعوب ، وفي الشعوب النصرانية اكثر ، ومنها جاء هذا البلاء لجهلة المسلمين ولكنها في السياق الصحيح تقول ان الحمار الذى نفق كان للرفيقين معا ، وانهما دفناه وذهبا لحال سبيلهما ، بعد امد طويل مرا بنفس المكان الذى دفناه فيه فوجدا عليه مشهدا وان الناس يزورونه ويتبركون به ، فعجبا من جهلهم وسخافتهم وبينا للناس ما هو ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر . . وهذا السياق لم يعجب المؤلف فحوره وأضاف اليه ما ظن انه ينال به من الإسلام ونبى المسلمين ، فكان ذلك منتهى العباطة وغاية الجهل ، والدليل القاطع على ان الرجل مختل العقل سقيم الادراك ، اذ انكر المحسوسات ونفى المسلمات ، (ومن يهن الله فماله من مكرم) .

وأخيرا نسأله اذا كان هذان الشخصان مسلمين بحكم تسمية احدهما محمدا والأخر أحمد ، فكيف أسلما قبل مبعث نبي الإسلام ؟ .

ويزيد هذا المؤلف امعانا في الضلالة والجهل فيقول : « كيف يمكن ان

(١) مجلة الجامعة الإسلامية ــ العدد ٢ السنة ٩ .

نفكر ،في حياة النبي محمد ، في حين انه لا توجد حجة تاريخية مادية مكتوبة تدل على وجوده ، ومحمد نفسه لم يترك وراءه شيئا في الموضوع» فأما قوله انه لا توجد حجة تاريخية على وجوده فهو وان كان اشبه شيء بالهذيان فقد أجبنا عنه آنفا . . . ونزيد عليه ان كتابه صلى الله عليه وسلم لهرقل الذى يوجد الآن في حوزة ملك الأردن والذى خضع لتحليلات علمية دقيقة أثبتت صحته ، هو حجة مادية مكتوبة تقنع عراض القفا الذين لا يؤمنون الا بالمحسوسات امثال المؤلف ، واما ان محمداً صلى الله عليه وسلم لم يترك وراءه شيئا في موضوع وجوده فنقول عليه بلى لقد ترك للأغبياء ما لم يستطيعوا نفيه الا بمثل حكاية على اكبر التى كشفتهم وفضحتهم هم والذين اعتمدوهم كمدافعين عن ايديولوجيتهم ، وترك للعقلاء الكتاب الذى نوه به المستشرق سميث في الكلمة التى نقلناها عنه قريبا ، وكفى بذلك تركة في الموضوع .

ويلح السفير رحماتوف على إنكار وجود النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : «ان رجلا في مثل عظمة محمد كيف لا يكون معروفا لمعاصريه من المؤرخين والكتاب والشعراء والنحات وبخاصة في بيزانطة وأرمينيا ، بل وفي بلاد الخلافة العربية نفسها ، فان أكثر المؤرخين العرب والعلماء المسلمين وحفاظ القرآن ليس لديهم معلومات محددة عنه ، والمثل (الأوكراني) يقول من كان غير موجود ليس له وجود ، ولذلك فان ميلاد محمد لا يعرف لانه لم يوجد قط» .

ولسنا بحاجة إلى تفنيد هذه الاقوال وتزييف ما فيها من ادعاءات وانما نقلناها لانها ربما تثير بعض الشبهة عند محدودى الادراك وضعاف العقول كالمؤلف فيما يتعلق بالنحات فنشير إلى ان الإسلام جاء بتحريم الصور والتماثيل ، فمن تطبيق تعاليمه ان لا يكون النبي الذى جاء بـه موضع تجـارب للمصورين والنحات الذين يمكن ان يكونوا في دار الإسلام ، واما بخصوص مؤرخى بيزنطة وأرمينيا فقد يكفينا بالنسبة للأولى الكتاب النبوى الذى أرسله صلى الله عليه وسلم لهرقل كما اشرنا اليه من قبل ، فانه من عندها خرج ، وفي خزائن ملوكها كان محفوظا ، وبالنسبة للثانية فقد لا نبالغ اذا قلنا ان تاريخها القومى في زمن بعثة

الرسول صلى الله عليه وسلم لم يصلنا ، ولعله لم يسجله احد من اهلها بل ان كثيرا من شعوب المنطقة والبلاد الروسية نفسها ، لم تعرف لها تاريخا في هذه الفترة وما بعدها إلى زمن الخلافة العباسية الا من طريق المؤرخين العرب، فكيف تسجل هى تاريخ غيرها وتاريخ النبي صلى الله عليه وسلم بالذات ؟ .

اما قوله عن جهل تاريخه عليه السلام في بلاد الخلافة العربية ومن العلماء المسلمين وحفاظ القرآن ايضا ، فهو مما يبعث على الضحك من سذاجة هذا الكاتب او وقاحته باعتبار آخـــر ، لانكاره الاشياء الثابتة بالحس بل ما يقره هو من حيث لا يشعر ، فمجرد ذكره للخلافة هو اثبات لما ينكره ، لانها خلافة عنه صلى الله عليه وسلم ، بوجوده كانت ، وبقيام الخليفة مقامه في تسيير شؤون المسلمين سمى خليفة ، ولكن من اين لغليظ الفهم ادراك هذه المعاني ؟ . . .

وبعد ان ينفى الكاتب بناء على اوهامه وتخرصاته وجود النبي محمد صلى الله عليه وسلم متذرعا بذلك لإبطال الاحتفـــال بالمولـــد الشريف وبذكرى الاسراء والمعراج لانهما لم يقعا ، ولم يثبت وجود صاحبهما تاريخيا ، يقول ان السوفيات الذين يبنون بلادهم من جديد ، ليسوا بحاجة إلى هذه الأعياد والعادات الاجنبية عن المبادئ العلمية الماركسية ، والتى تعطل قيام المجتمع الشيوعى» .

وهذا هو بيت القصيد عنده من هذا الفصل ، ولكن الغريب هو ان يعد الأعياد الإسلامية والتقاليد التى مرت عليها قرون وقرون في بلاد الإسلام اجنبية ، ومبادئ اليهودى ماركس التى فرضت على البلاد بالحديد والنار اصلية ومن صميم حياة الشعب ، وهى لا يعتنقها الا نحو ١٠٪ منه سواء كانوا مسلمين ام مسيحيين أم سوى ذلك .

تناقضات القرآن :

لو كان عند هذا الشخص خجل لأرعى على نفسه وتوارى حيث لا يراه ولايسمع به أحد ، لأن ما سبق وظهر من جهله وسوء فهمه وتعصبه ومكابرته ، كان كافيا لان يجعله مثلة ومضغة في أعين النـــاس وافواههم ، فكيف يجرؤ ان يضيف إلى أوهامه وسقطاته في الفصول المتقدمة فصلا بعنوان تناقضات القرآن ، وهو لم يحرر المسلمات فأحرى ما يدعى انه من المتناقضات ؟ ولكنه يكتب سجل الغباوة والقصور على نفسه وعلى بلده الذى جعل له شأنا فرشحه لهذه المهمة ، وإذن فليفضح نفسه اكثر ، وايطوق بلده مزيدا من العار ! (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) .

وإلى القارئ مهاترته التى افتتح بها هذا الفصل : « القرآن كتاب مشوش يختلط فيه العالم الواقعى بعالم خيالى يتكون من أمور مستحيلة وخرافات باطلة ، وليس فيه اى نظام للحياة لا خاص ولا عام ، وتلاوته متعبة جداً حتى بالنسبة للذى انما يدفعه الفضول لقراءته » وهذا الكلام ان دل على شئ فانما يدل على نفسية مريضة وعقلية متخلفة ، تجعلنا نشك فيما يتحدث به صاحبه عن الخدمات الصحية في الاتحاد السوفياتي ، والتقدم العلمى الذى حظيت به هذه البلاد بعد ثورة ١٧ أكتوبر المعروفة : والا لوجد له مكانا في احدى المصحات العقلية لعلاج لوثته ، ثم الرمى به في احدى المزارع الجماعية حيث يمكنه ان يؤدى عملا أحسن .

إن القرآن يا هذا، يقرؤه كل يوم ملايين الناس من كل الطبقات والاجناس ، مغتبطين بقراءته متملين بحكمته ، وفيهم من غير المسلمين كثير ، وبعض هؤلاء تنشرح صدورهم بقراءته إلى الدخول في الإسلام ، على الرغم من انهم انمـــا يقرأونه في ترجمات قد لا تؤدى المعنى المراد كما يجب ، فكيف يقبلون عليه هذا الاقبال ، وهو بالحالة التى وصفتها ؟

ولقد أنشأ القرآن من العدم امة ودولة انتظمت في سلكها القارات الثلاث التى كانت معروفة اذ ذاك ودانت لها بالطاعة ، ودخلت الكثرة الكاثرة من سكانها في دين الله الذى يدعو اليه القرآن ، برغبة تلقائية ،فتكوّن منها مجتمع

فاضل يخضع في شؤونه الخاصة والعامة لأحكام القرآن ونظامه المثالى ، وتفاعلت عبقريات الشعوب التى تكونت منها الامة الإسلامية مع تعاليم القرآن ، فشيدت تلك الحضارة الإنسانية التى لم يشهد لها التاريخ فيما مضى مثيلا ، والتى اقتبست منها اوربا علوما وفنونا كانت هى السبب في نهضتها ومدنيتها الحاضرة ، فهل يصح ان تقوم هذه الاعمال الضخمة على اساس من كتاب مشوش ليس فيه اى نظام للحياة ! . . .

وعلى ما تعرض له القرآن من نقد وتجريح من خصوم الإسلام ، فان احدا — على الاقل في القرن العشرين — لم تبلغ به الوقاحة إلى ان يقول فيه ما قاله هذا الأرعن الذى يمثل تعصب القرون الوسطى وجهالة اهلها . ونحن نرد عليه باقوال علماء اجانب لا يتهمون بموالاتهم للمسلمين ولا بنشوئهم على الإسلام ، فيظن بهم عدم التجرد عن عواطفهم او قلة التمحيص لما يقولون . وهكذا للرد على قوله ان القرآن كتاب مشوش يختلط فيه العالم الواقعى بعالم خيالى . . . الخ . ننقل ما قاله اميل در منغام في كتابه حياة محمد عن القرآن ، ونصه :

« كان محمد يعـــد نفسه وسيلة لتبليغ الوحى ، كان مبلغ حرصه ان يكون أمينا مصغيا او سجلا صادقا للكلام المنزل ، لكلام الله القديم الذى هو أم الكتاب ، الكلام الذى تحفظه ملائكة كرام ، في السماء السابعة ، وسواء أكان هناك فرق بين القرآن السماوى والقرآن المحفوظ في صـــدور الناس او المكتوب في صحف او في عظام أو في رق ، ام لم يكن ، وسواء أكان هناك فرق بين الكلام الازلى والكلام الزمنى ام لم يكن ، نرى ان ادراكنا النسبي للمراحل الربانية في العالم ايسر من ادراك معاصرى محمد العربي وعلماء المسلمين لها ، فنحن نرى ملاءمة القرآن الوثيقة للاحوال ، وانه نزل يوما فيوما تبعا لمقتضيات سير الإسلام ومصالحه متناسخا ، وان لم يكن متناقضا . مقوما لأحكامه ، مداريا فيها ضعف المسلمين ، مجاريا لاعتراضاتهم ، وعند النبي ان الرسالة فوق الرسول ، وان آية من القرآن افضل من محمد وآله .

« ولا بد لكل نبي من دليل على رسالته ، ولا بد له من معجزة يتحدى بها ، مختلفة عن كرامات الاولياء فقد تحدى موسى سحرة فرعون بأن يأتوا بمثل ما اتي

به من المعجزات ، وقد حنى موسى شعبه الحرون بنى اسرائيل بنير من المعجزات ، ولم يتكلم احد مثلما تكلم عيسى الذى هو كلمة الله كما شهد به القرآن .

« والقرآن هو معجزة محمد الوحيدة ، فأسلوبه المعجز ، وقوة ايحائه ، يثيران ساكن من يتلونه ولو لم يكونوا من الاتقياء ، العابدين . وكان محمد يتحدى الانس والجن بأن ياتوا بمثله ، وكان هذا التحدى اقوم دليل لمحمد على صدق رسالته(١) » .

وللرد على نفيه ان يكون في القرآن اى نظام للحياة ننقل قول « ادموندبورك » في القانون الذى جاء به القرآن : « ان القانون المحمدى الذى جاء به القرآن قانون ضابط للجميع من الملك إلى اقل رعاياه ، وهو قانون نسج بأحكم نظام قضائي واعظم قضاء علمى واعظم تشريع منور ، ما وجد قط مثله في هذا العالم من قبل » .

وكذلك قول « اللورد هيدلى » ولفظه : « كان النبي محمد شرقيا مثل الانبياء الآخرين وانزلت عليه الشريعة من الله ، فالقرآن هو من كلام الله عز وجل كما كان الإنجيل وباقي الكتب المنزلة الأخرى ، وهو يثبت ويصدق الكتب المقدسة الاخرى والوحى السابق ، ويضيف تعاليم أخرى تؤكد اهمية تلك التعاليم الماضية ، وفوق ذلك فهو يحرم كل نكهات العبادة الوثنية ، وروح الوحى هى ان لا يقرن اسم الله القوى العليم الرحيم بأى اسم آخر » .

وللرد على قوله ان قراءة القرآن متعبة وانه يحتوى على امور مستحيلة وخرافات باطلة ننقل قول « سيدني فيشر » أستاذ التاريخ بجامعة اوهايو الامريكية : « ان القرآن صوت حى يروع فؤاد قارئه وانه يزيد روعة حين يتلى بصوت مسموع ، وهو كتاب تربية وتثقيف وان الفضائل التى يحث عليها من اجمل الفضائل وارجحها في موازين الاخلاق ، وتتجلى هداية هذا الكتاب في أوامره كما تتجلى في نواهيه » .

وأخيرا لإثبات إعجاز القرآن العلمى البحت ، نحيل مؤلف (كتيب هل يمكن

(١) كتاب حياة محمد لأميل در منغام ترجمة محمد عادل زعيتر .

الاعتقاد بالقرآن) على كتاب الدكتور موريس بوكائي : « الإنجيل والقرآن والعلوم الحديثة » الذى صدر بفرنسا في السنة الماضية لينظر كيف يتكلم أسياده عن سيد الكتب ، القرآن !

ثم يقول هذا المؤلف بأثر ما سبق اتصالا : « وفوق ما يحتوى عليه القرآن من التكرار الكثير فان ما يقرب من ٣٠٠ آية قرآنية كلها يناقض بعضها بعضا ، لكن اللاهوت الإسلامى فيه نظرية تسمى النسخ يمكن بها المسلمين تسوية جميع الاختلافات الموجـــودة في القرآن والقرآن نفسه يصرح بتغير بعض آياته تارة بالزيادة وأخرى بالنقص كما تقول الآية ١٠٣ من السورة ٢ : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) . . . » .

ان القرآن كتاب دعوة وهدى وبشارة ، فالتكرار فيه محبب ومطلوب وهو من اساليب الدعوة المتبعة من جميع اصحاب الافكار والمبادئ الخيرة فضلا عن غيرها والمقصود به التاثير في نفوس المدعوين وبلوغ الغاية من الدعوة بطريقة أو بأخرى وقد قال الشاعر :

أما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا

على ان التكرار في القرآن له اسلوبه الخاص الذى بلغ اعلى مستوى من البلاغة الكلامية فهو في كل مرة يعيد فيها قصة او حكما او موعظة ، يؤديها بطريقة غير التى سبق له ان أداها بها ، ويضيف لها اشياء لم يذكرها من قبل ، اما من قبيل المعلومات ، واما من باب التنبيه على مغزى النص او غير ذلك . مما يعد معجزة بيانية طأطأت لها رؤوس اعلام البلاغة وامراء الكلام ، فمن أين « لرحماتوف» ان يدرك سر الاعجاز في تكرار بعض الآيات القرآنية وبينه وبين اسرار العربية سور من الجهل والالحاد والتعصب ؟ . . .

اما قوله ان في القرآن ما يقرب من ٣٠٠ آية يناقض بعضها بعضا ، فهو دعوى باطلة (اولا) لانه لم يقل به احد حتى المبشرون الذين يحاولون التشكيك في القرآن انما يتطرقون لبعض الآيات التى لا تتجاوز اصابع اليد ، حاملين لها على غير محملها لجهلهم او لسوء نيتهم ، ولو وجدوا عشر هذا العدد من المتناقضات ،

وان كان ذلك على طريقتهم المشار اليها لما سكتوا عنه بحال . (وثانيا) لان الذى لم يفهم مغزى تكرار بعض الآيات في القرآن وأساليبه المتنوعة كيف يفهم التناقض ويدرك الخلاف بين الآيات القرآنية وهو مطلب اعمق من مطلب التكرار ؟ (وثالثا) ان القرآن قد نفى بصريح العبارة ان يكون فيه شئ من الخلاف والتناقض وذلك حين يقول منزله الحكيم الخبير (أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وهى آية تحدث المشركين وفيهم أرباب اللسن والفصاحة الذين لا يقاس رحماتوف بهم الا على قياس زيد بالحمار(١) ، ومع ذلك فانهم لم يقولوا ان في القرآن تناقضا ولا ادعوا انه يشتمل على آيات يعارض بعضها بعضا . وهـذه الأدلة التى اوردناها على إبطـال دعـواه ان كانت من قبيل الادلة العمومية ، فسوف ننظر فيما يزعم انه متناقض في القرآن ونبطله بأدلة خاصة .

وتدارك المؤلف قوله بما يكر عليه من حيث لا يشعر بالإبطال ، حين ذكر ان نظـرية النسخ في اللاهوت الإسلامى تمكـن المسلمين من تسوية خلافات القرآن . . . وقد زج بنفسه في مضيق لا مخرج له منه الا بالتراجع عن اتهام القرآن بالتناقض وزعمه ان المسلمين يسوون خلافاته بنظرية النسخ التى يتميز بها على قوله ، اللاهوت الإسلامى . والحقيقة ان النسخ ثابت في كل من اللاهوت اليهودى واللاهوت المسيحى ، لم ينفرد به اللاهوت الإسلامى الا عند من يجهل تاريخ الاديان السماوية كهذا المؤلف الذى ضرب الرقم القياسى في عدم معرفته بما يتكلم عنه حتى اصبح تأليفه كله عبارة عن سلسلة من الاخطاء والجهالات التى لا حصر لها .

فقد نسخت التوراة اباحة تزوج الاخوة بالاخوات كما كان ذلك في عهد آدم عليه السلام للضرورة الوقتية ونصها في سفر (اللاويين) الاصحاح الثامن عشر : « عورة اختك بنت ابيك او بنت امك المولودة في البيت او المولودة خارجا

---

(١) هذا من باب التقديم والتاخير فالمقصود قياس الحمار بزيد كقوله في الحديث يصف مسح الرأس في الوضوء : فأقبل بهما وأدبر اى ادبر وأقبل .

لاتكشف عورتها » وفيه آيضا بالاصحاح العشرين : « واذا أخذ رجل أخته بنت ابيه او بنت امه ورأى عورتها ورأت هى عورته فذلك عار امام شعبهما ، قد كشف عورة أخته يحمل ذنبه » .

ونسخت اباحة الجمع بين الاختين كما كان ذلك في عهد يعقوب عليه السلام فانه كان يجمع بين ليا وراحيل بنتى خاله . وقصته مذكورة في سفر التكوين بالإصحاح التاسع والعشرين . . . ودليل النسخ في هذه المسألة مـا جـاء في سفر اللاويين الإصحاح الثامن عشر ونصه : « ولا تأخذ امرأة على اختها لتكشف عورتها معها في حياتها » ونسخت اباحة اكل جميع الحيوانات كما كان في عهد نوح عليه السلام على ما في سفر التكوين ، ودليل النسخ في سفر اللاويين ، وجلب ذلك يطول .

واما الانجيل فقد نسخ اباحة الطلاق كما كان ذلك في الشريعة الموسوية بأى سبب زنا او غيره ، واباحة تزوج المطلقة ، ففى سفـر التثنية الاصحاح الرابع والعشرين : « اذا أخذ رجل امراة وتزوج بها فان لم تجد نعمة في عينيه لانه وجد فيها عيب شئ كتب لها كتاب الطلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ومتى خرجت ذهبت وصارت لرجل آخر » فحرم الانجيل الطلاق الا بعلة الزنا وحرم تزوج المطلقة . ونص انجيل متى في ذلك الاصحاح الخامس : « وقيل من طلق امرأته الا لعلة الزنا يجعلها تزني ، ومن يتزوج مطلقة فانه يزني » ونسخ حرمة أكل الحيوانات التى كانت محرمة في شريعة موسى ، ونسخ الختان وجلب نصوص ذلك كله يطول (٣) .

اذا علم هذا فالقرآن انما سلك سبيل الكتب السابقة ، فنسخ ما اقتضت المصلحة نسخه بما هو أوفق منه ، للتطور الحاصل في مسار الإنسانية نحو الرشد وتحمل المسؤولية، وهذا هو مدلول الآية الكريمة (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) لا ما حملها إياه صاحب الكتيب المنقود من تغيير الآيات القرآنية بعضها ببعض .

---

(٣) انظر كتاب فضيحة المبشرين للكاتب .

ومن الألطاف الإلهية وفضائل الدين الإسلامى ان النسخ الذى جاء به القرآن للاحكام التى كان معمولا بها في الشرائع السابقة ، كله رفق وتخفيف واستجابة لتطلعات الإنسانية الرشيدة على ما ألمعنا اليه آنفا ، ولذلك جاء في الكتاب العزيز تنويها بالرسالة المحمدية قوله تعالى (ورحمتى وسعت كل شئ ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) .

هذا ونلاحظ ان آية ما ننسخ هى الآية ١٠٦ من السورة الثانية أعنى سورة البقرة وليست الآية ١٠٣ كما قال المؤلف .

بعد ذلك يقول هذا المؤلف : « لندرس بعمق تناقضات القرآن . . . نقرأ في السورة الثانية الآية ٦١ (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا يعنى ان القرآن يتسامح مع الاديان الاخرى كالمسيحية واليهودية ويضمن حتى للمسيحيين سعادة الآخرة ، ومع ذلك فانه في الآية ١٧ من السورة الثالثة يقول (إن الدين عند الله الإسلام) وفي الآية ٨٢ من نفس السورة (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين) وهكذا تجهل اليد اليمنى ما تفعل اليد اليسرى ، فمن جهة يسمح القرآن للناس ان يتدينوا بغيره من الاديان ومن جهة أخرى يرفض ذلك » .

ونبادر فنقول ان مؤلف كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن هو الذى يجهل ما دلت عليه الآية الاولى فيجعلها متعارضة مع الآيتين الثانية والثالثة . . . ونحن نشفق عليه من هذا الجهل الفادح والفاضح لما هو عليه من القصور وقلة الفهم ، ولكننا نسخر منه ونتعجب من وقاحته ، اذ يتعرض لما لا علم له به ويعمد إلى التشهير والتجريح ، وهو في الواقع انما يشهر بنفسه ويجرح مرشحيه لهذه المهمة

التي عجز عنها العصبة اولو العلم والاقتدار ، فكيف بإمَّعات المُغَلَّبِين؟ . . . !

ان القرآن بحكم نسخه للكتب السابقة لا يسمح بأى دين آخر كما ان الانجيل بحكم نسخه للتوراة يعتبر اليهود كفارا لعدم إيمانهم به ، والآية الكريمة التى تقول : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) هى بمثابة بلاغ لاتباع هذه الديانات يدعوهم إلى الايمان بالله وحده والتصديق باليوم الآخر اى البعث والحساب وعمل الصالحات ... وهذا هو ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم فمن قبله منهم وعمل به فقد دخل في الإسلام واستحق ما ذكر في آخر الآية وهو قوله : (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) ومعلوم ان النصارى لا يؤمنون بالله وحده بل بأقانيم ثلاثة ولذلك جاء في آية أخرى من القرآن (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة . وما من إله إلا إله واحد) واليهود كفروا بعدة اشياء ومنها عدم إيمانهم برسالة سيدنا عيسى عليه السلام، فهم مدعوون للإيمان برسالة القرآن التى تقر رسالة المسيح ونسخ الانجيل للتوراة فضلا عن إنكار ما قالوه من ان عزيرا ابن الله ، ليستحقوا ما ذكر من الاجر والامن وعدم الحزن يوم القيامة . واما الصابئة وهم عباد الكواكب فأمرهم معلوم، وبهذا يتبين ان الآية لا تتنزل على احد ممن ذكر ، ولا يدخل فيها يهودى ولا نصراني ولا صابئى الا اذا آمن بالله وحده وباليوم الآخر وعمل الصالحات على حسب ما جاء به الكتاب العزيز، اى دخل في الإسلام ودان به وانسلخ من كل دين غيره ، فأى تناقض اذن بينها وبين آية (إن الدين عند الله الإسلام) ؟ وآية (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) ؟ ، وبعبارة أوضح ليفهم عَرِيضُ القفا لو ان القرآن قال : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين لهم أجرهم عند ربهم ..الخ لصح ما فهمه منها مؤلف آخر زمن . ولكنه لما وضع شرطا هو قوله : (من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) وعقب عليه بجواب مقرون بالفاء وهو قوله (فلهم أجرهم عند ربهم) الخ علم ان الجواب لمن توفر فيه هذا الشرط ، والشرط كما هو معلوم ما يلزم من عدمه العدم ، ففاقده لا اعتداد به ، وكذلك الطوائف الثلاثة لا دخل لهم في هذا الجزاء .

النصارى مشركون ، واليهود مكذبون ، والصابئة وثنيون ، فهم جميعا لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يعملون صالحا على مقتضى الشرع فكيف يقال ان القرآن يسمح لهم بالبقاء على دينهم ويكونون في الآخرة من الناجين !

ان الآيات الكريمة منسجمة فيما بينها انسجاما كاملا . والنشوز والخلاف والتعارض هو في عقلية المؤلف الذى لا يفرق بين الكوع والبوع ، ويدعى انه يدرس هذه التناقضات بعمق ! ؟

وننبه مرة أخرى على خطئه في رقم الآيات المذكورة ، فالاولى رقمها ٦٢ في السورة الثانية وليس ٦١ ، والثانية رقمها ١٩ وليس ١٧ ، والثالثة رقمها ٨٥ وليس ٨٢ ، وكلتاهما في السورة الثالثة اى سورة آل عمران .

ويضيف المؤلف إلى قوله السابق : « اننا نجد نفس التناقضات في القرآن لما نقابل الآية ٥ بالآية ٧٠ من السورة الخامسة » يعنى سورة المائدة .

« ففى الاولى يعلن ان الدين الوحيد هو الإسلام ويحض المؤمنين على قتال المشركين ، وفي الثانية يصرح بالتسامح مع اليهود والنصارى ويعدهم بالمصير السعيد» وإلى جانب خطئه السابق في فهم الآيات التى احتج بها على تناقض القرآن يرتكب اخطاء اخرى في قوله هذا . فالآية التى يشير اليها في السورة الخامسة هى قوله تعالى (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) وظاهر انها لا تفيد شيئا مما زعمه من ان الدين الوحيد هو الإسلام ، ومن حض المؤمنين على قتال الكافرين ، بل ان لفظ الإسلام لم يذكر فيها بالمرة ، واما القتال فلم تعرج عليه اطلاقاً . واما الآية ٧٠ من نفس السورة التى قال انها تتسامح مع اليهود والنصارى فهى في الواقع التاسعة والستون ونصها (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والقول فيها مثل نظيرتها من السورة الثانية ، وقد سبق ذلك ، وزادت هذه بذكرها الذين آمنوا اولا وعطف اليهود والصابئين والنصارى عليهم ، مع تقييدهم بشرط الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات كالشرط في السابقة . ليتساووا مع المسلمين في تحصيل حقيقة الإيمان واستحقاق ما رتب عليه من الجزاء

الحسن . فأين يوجد التناقض بين هاتين الآيتين الكريمتين ، اللهم الا في الفهم الخاطئ الذي عند المعترض ، وعدم تحريره حتى للمعنى الظاهر للآية الاولى ، وهو بصدد اظهار التناقض في زعمه ! . . .

ثم يقول المؤلف عقب كلامه السابق مباشرة : « ان القضايا التى تتعلق بالحياة الآخرة للمؤمنين في القرآن تتناقض هى الاخرى كذلك ، فمن جهة يعلن القرآن ان الحكم الإلهى يبدأ حالا بعد الموت (حسب السورة ٦١(١) الآيات ٣٠ — ٣٤) ومن جهة أخرى يؤكد القرآن ان الاموات انما يلقون مصيرهم بعد البعث والحساب (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) القرآن ، السورة ٢٨ الآية ١٠٢ » .

وكما قلنا مرارا ان المؤلف يؤتي من جهله بالعربية ، ولعله يعتمد على ترجمة رديئة لمعاني القرآن . فالآيات التى اشار اليها اولا هى قوله تعالى في سورة النحل : (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ، للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير ، ولنعم دار المتقين . جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون ، كذلك يجزى الله المتقين. الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ، يقولون سلام عليكم ، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) فهى كما نرى ليس فيها ما يدل على ما زعمه من ابتداء الحكم الإلهى بعد الموت مباشرة بل انها تدل على سؤال المؤمنين بصفة الجمع ، وذلك انما يكون بعد البعث وهو الحساب . وهى قد عبرت اكثر من مرة بالفعل المضارع (يدخلونها ، تجرى، يجزى) وذلك يعنى في المستقبل ، وقوله (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) هو وصف للمؤمنين حالة وفاتهم وعليه فقول الملائكة لهم (ادخلوا الجنة) هو انما يكون عند انتهاء الحساب وصدور الحكم الإلهى بأن هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار جزاء وفاقا .

ومما يزيد هذا المعنى وضوحا عطف هذه الآيات على الآيات قبلها التى تتعلق بالكافرين ولم يشر لها المؤلف وهى قوله تعالى (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين . ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين

(١) صحة السورة ١٦ بدلا من ٦١ .

يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون) فهي تصرح بما يدل على ان الحكم انما يقع يوم القيامة لا عقب الموت مباشرة كما زعم .

اما الآية التى زعم انها تناقض الآيات المذكورة لانهـا تؤكد ان الاموات انما يلقون مصيرهم بعد البعث والحساب ، فقد وقع له فيها خطأ فظيع حيث نسبها لسورة ٢٨ وهى سورة القصص ، وهـذه السورة لا تتجاوز آياتها عدد ٨٨ في حين انه يعطيها رقم ١٠٢ والصواب ان السورة هى سورة المؤمنون وعددها في ترتيب السور ٢٣ ونص الآية كاملة ورقمها ٩٩ ــ ١٠١ (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت ، كلا ، إنها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون . فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) .

هذه ثلاثة امثلة من آيات القرآن المتناقضة التى قال رحماتوف انها تقرب من ٣٠٠ آية ، ولا شك ان هذه الامثلة الثلاثة التى اوردها هى عنده اشدها تناقضا واكثرها تعارضا ، وإلا لما اقتصر عليها وقدمها كنموذج لتأييد زعمه ، وقد رأينا كيف كان فهمه لها مقلوبا وتحريفه لها عن مواضعها ناشئا عن جهل ، فسقط كلامه وتوجهت الحجة عليه ، ولذلك نراه بعد هذا يلجأ إلى عادته من إجمال القول والطعن بغير حجة فيقول : « اننا نجد في القرآن تناقضات عديدة من هذا النوع وتصورات غامضة عن الله ومحمد والجنـة » ونحن نقول له ان كانت من قبيل ما ذكرت فليس في الدنيا تناقض مثلك ، ولعلك وقد قلت ان الآيات المتناقضة في القرآن تبلغ ٣٠٠ آية ولم تأت الا بثلاثة امثلة منها ثم عدت إلى القول ان تناقضات القرآن من هذا النوع عديدة فأجملت ولم تفصل ، شعرت بما في كلامك من المجازفة وعجزت ان تعززه ولو بمثال رابع خاطئ كالثلاثة قبله ، فكان ذلك تراجعا منك والقاء باليد ! .

وينتقل المؤلف إلى الدعاية للشيوعية ، وهى المقصود بالذات عنده فيقول : « ان المدافعين عن القرآن بعد ان بذلوا مجهودهم لإخفاء تناقضاته لم يسعهم الا الالتجاء إلى مبادئ الماركسية ، فيقولوا عن الحرب التى يشنها المسلمون على غيرهم

انها حرب دفاعية ، فضد من يدافعون حيث لا احد يهاجمهم ؟ » وفي هذا إقرار بأن الماركسية تحارب للدفاع عن نفسها فاذا كان ذلك حقـــا لها ولو من وجهة النظر المجردة فلماذا لا يكون حقا للإسلام ؟ اما دفاع المسلمين فقد كان فيما قبل ، ضد المتصدين له من المشركين والصليبيين والاستعماريين ، وهو اليوم ضد الشيوعية التى تهاجمه جهارا وضد الصهيونية والإمبريالية العالمية وكل قوى الشر التى تتربص به وبشعوبه الدوائر . .

وأما ان المدافعين عن القرآن لجأوا في هذا التأويل إلى مبادئ الماركسية ، فهو مما يدعو إلى السخرية بربيب الشيوعية الذى لم يعرف مذهبا في الدنيا غيرها . . .

ان الإسلام سبق الماركسية بأربعة عشر قرنا ، وأعطى لأتباعه حق الدفاع عن أنفسهم بعد ما عانوا من أعدائهم الأمرين ، وكانوا يريدون مقابلة العدوان بمثله ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحثهم على الصبر والاحتمال حتى نزل عليه قول الله عز وجل إذنا بالقتال الدفاعى المشروع ؛ في هذه الآيات الكريمة : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) إلى آخرها فكيف يلجأ المدافعون عن القرآن إلى تبنى هذا المبدأ من مبادئ الماركسية ، ان صح انه من مبادئها ، وهو مقرر في كتابهم ، الذى يرد عليه هذا المأفون ، منذ عدة قرون ؟

وهنا يطيب لي ان انشد بيتا من قصيدة كنت قلتها في سنة ١٩٥٤م وهى بعنوان ثورة الملك والشعب لتنزله على هذه الحالة :

زعمت فرنسا أننا تبع لها   من أين يتبع أمس يوما تال ؟

ونقل المؤلف قول الكاتب الهندى امير علي : « الإسلام سل سيفه ولكنه لم يتدخل قـــط في عقائد الآخرين من أتباع الاديان الاخرى ولم يلجأ ابدا إلى استعمال الحطب او آلات التعذيب لأجل التنكيل بالمخالفين لرايه او التحكم في الضمائر او مقاومة اى هرطقة » ثم عقب عليه بقوله : « يريد امير علي ان يقول ان الإسلام دين انساني ولكن هذا كذب ! » وعلى هذا المنوال مضى يشنع

وكأن به مسا من الجنون ، فاتهم امير علي بأنه يتستر على اعمال الرؤساء المسلمين ازاء الملحدين والكفار ولا يقول ان الأولين قتلوا رجما بالحجارة والآخرين الزموا باتباع الدين الإسلامى ، وقال ايضا عنه انه نسى السيرة الوحشية للاتراك نحو نصارى البلقان واليونانيين والحروب بين تركيا وروسيا وبين تركيا وايطاليا مما لا يدع حجة للمدافعين عن القرآن وانسانية الدين الإسلامى . . .

والكذب في هذا الكلام يكاد يفوح نتنه من بين الفاظه ، فليس في تشريع الإسلام كما هو معروف ولا قال قائل ان اى ملحد رجم بالحجارة في تاريخ الإسلام الطويل ولا ان الكفار ألزموا بالإسلام في بلد من البلدان . ولو حصل ذلك لما كانت هناك الآن اندلس مسيحية وقد حكم المسلمون الاندلس ثمانية قرون فلم ينقل عنهم انهم ألزموا النصارى فيها باعتناق الإسلام ، على العكس مما فعل هؤلاء لما تغلبوا على المسلمين في مملكة غرناطة ، فبعد العهود والمواثيق التى أخذها المسلمون عليهم باحترام عقيدتهم وحريتهم الدينية ، خاسوا بالعهد وألزموهم بالتنصر ولم يكتفوا بذلك بل أقاموا لهم محاكم تفتيش تتجسس عليهم في حياتهم البيتية ، فاذا وجدوا واحدا منهم يغتسل او يعطل العمل يوم الجمعة وما اشبه ذلك اخذوه أخذ جبار منتقم وأحرقوه حيا والتاريخ العام شاهد بذلك .

نعم ولو حصل ضغط من المسلمين على النصارى بترك دينهم والتزام دين الإسلام لما كانت دول البلقان اليوم ولا اليونان نصرانية وقد كان للخلفاء العثمانيين اليد الطولى عليهم . ويقال ان احد خلفائهم هم بفرض اعتناق الإسلام على شعوب البلقان فمنعه من ذلك شيخ الإسلام قائلا ان ذلك لا يجوز شرعا .

ونعم مرة أخرى فان ذلك لو حصل في ظرف من الظروف قديما أو حديثا لما كان هناك نصارى العرب الذين شهدوا قيام الدعوة الإسلامية ووفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وناظروه ، ولما ألزمهم الحجة في صحة دين الإسلام وبطلان المسيحية ، رجعوا إلى قومهم وقبلوا أداء الجزية اى الدخول في

حكم الدولة الإسلامية والبقاء على دينهم ، وهم اليوم اعظم الاقليات في الدنيا تمتعا بالحقوق المدنية السياسية ولهم مصالح اكثر من مصالح المسلمين سواء في مصر وسوريا بالمدلول الواسع والعراق وغيرها . ناهيك انهم في لبنان بيدهم زمام الحكم وهم اقلية بالنسبة للمسلمين .

هذه هى السيرة الوحشية التى يتحدث عنها رحماتوف ويقول ان الاتراك عاملوا بها النصارى في البلقان واليونان فهل يستطيع ان ياتينا بنظير لها في تاريخ الحكم الروسى للبلاد الإسلامية التى استولوا عليها غصبا وقسرا في عهد القياصرة وعهد الثورة الشيوعية ؟ . . . !

واحب ان اذكر هنا كلمة تناسب الموضوع تتعلق بفترة السيطرة الشيوعية على شعوب آسيا الوسطى المسلمة . فقد كنا في زيارة رسمية للاتحاد السوفياتي وكان رئيس الادارة الدينية ونحن في قصر الكرملين يطلعنا على مخلفات الزعيم لينين في الجناح الذى كان ينزله من القصر ومنها رسالة وجهها إلى فلندا بمنحها الاستقلال . فقال لنا انه في مقابل هذه الرسالة وجه لشعب اوزبيكستان نسخة المصحف العثماني هدية ! فقلت له : يا ليته عكس ! فقال لى كيف ؟ قلت : لو كان أرسل المصحف العثماني إلى الفلنديين ورسالة الاستقلال إلى اوزبيكستان فقال لى : ان الفلنديين مسيحيون فماذا يفعلون بالمصحف ؟ قلت وانا أضحك : يقرأونه ويسلمون ! فنظر إلى نظرة ذات معنى وضحك هو أيضا ! . . .

ودلالة هذه الكلمة في الموضوع واضحة لا تحتاج إلى تعبير . اما كلام المؤلف على الحروب الروسية والايطالية مع تركيا فلا ندرى ما دعاه اليه . هل كان يجب على تركيا ان تقف مكتوفة الايدى وهى ترى روسيا القيصرية توسع نفوذها في التركستان والبلاد الإسلامية المجاورة ، وايطاليا تبسط نفوذها على ليبيا ، ليشهد لنا بأن الإسلام دين إنساني ؟

ما هى المصالح الممنوعة في القرآن :

هذا عنوان كبير لفصل صغير لا يتجاوز صفحة ونصفا ، وهو مع ذلك تافه لا يستحق القراءة فأحرى الرد . ولكننا التزمنا الكر بالنقض لكل أقوال هذا العبيط ، فلنسر على خطتنا ولننظر في قوله كيفما كان .

انه يستهله بما زعم انه آية قرآنية من السورة الثانية تقول : « إذا سبك أحد فاصبر وأكثر من عبادة الله فالله معك » ولم يذكر في هذه المرة رقم الآية لا على الخطأ كعادته ولا على الصواب لانه لا توجد في السورة الثانية التى هى سورة البقرة آية بهذا اللفظ ولا بمعناه . فالسفير السوفياتي يكذب على القرآن ، وهو كذب ليس كالكذب في الديبلوماسية فيغتفر ، انه كذب في العلم ، فيا أسفى على البحث العلمى اذا تولاه من ليس من اهله فانحط إلى هذا الدرك ، وعلى اى حال فدعم الشيوعية بمثل هذه الوسائل مما يدل على انهيارها وتصدع بنائها .

ولعل المؤلف قرأ ما جاء في الانجيل من قوله : « إذا ضربك احد على خدك الايمن فأدر له الخد الايسر» فسولت له نفسه صياغة آية قرآنية على هذا النسق ، لا سيما مع اعتقاده ان القرآن والانجيل شئ واحد لانهما كتابان دينيان ، والدين عند الشيوعيين لايختلف . او هو على رأى المبشرين وبعض المستشرقين الذين يقولون بأن النبي صلى الله عليه وسلم اقتبس من التوراة والانجيل في تأليفه للقرآن، فلابد ان يكون هذا المعنى مما اقتبسه ، ولذلك صح عنده ان يضع آية على غرار ما جاء في الانجيل وينسبها إلى القرآن . والا فلماذا لم يذكر رقم الآية في السورة الثانية التى زعم انها منها ! . . . .

هذا والقرآن صريح بمخالفة هذا التعليم اذ جاء فيه (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) (النحل ١٢٦) وفيه أيضا (ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله) (الحج ٦٠) وفيه كذلك مدحا للمؤمنين (والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين. ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) (الشورى ٣٩ ـ ٤١) ومالى أتنقل بين السور والسورة الثانية أعنى البقرة التى نسب اليها المؤلف تلك الآية

المزيفة . قد جاء فيها ما يلي : **(الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) (الآية ١٩٤) ولعل هذه الآية هي التى اشتبهت عليه** بما ذكر ، خصوصا ان فيها واعلموا ان الله مع المتقين ، فان يكن الامر كذلك فهو جاهل حتى بمعاني المفردات القرآنية فأى كلام يبقى معه ! . . .

والآيات في هذا المعنى كثيرة فلا نطيل بها ، والمقصود ان نبين للمؤلف ان ظنه خاطئ وان الإسلام غير المسيحية وأن دعوته إلى العزة والكرامة والشرف لا تجعل لمعتنقيه مندوحة إلى قبول الذل والهوان والاحتقار .

ويعلق المؤلف على الآية المزعومة متسائلا : لمن يوجه هذا النداء القرآني ؟ في النظام البورجوازى قليلا ما يكون صاحب معمل او مصنع متعرضا للسب ، لان القانون يحميه ، ولان ماله يجعله قادرا على الانتقام ممن يسبه . على العكس من العامل الذى ما عليه في حال سبه وايذائه من رب المال الا ان يصبر ويكثر من عبادة الله ويعتقد ان الله معه . . . والمؤلف في هذا الكلام يرد على نفسه بنفسه ، فليس في الإسلام نظام بورجوازى كما ليس فيه نظام شيوعى ، وعلى كل فان كان هناك قانون يحمى صاحب المال فإن هناك قوانين أيضا تحمى العامل ، ونقابات تقف بجنبه تمنع عنه الظلم وأحرى السب والاذى . وهذا في النظام البورجوازى الذى ألصقه المؤلف بالإسلام على وجه الادعاء والتحكم ، والا فالايراد غير متجه الينا ، على اننا انما نجارى هذا المؤلف فيما زعمه من آيات القرآن وتعاليمه ، وهو في ذلك مفتر وكاذب على الله .

نعم ما يصوره المؤلف وارد حتما على النظام الشيوعى الذى يسخر العمال تسخيرا ، ولا يعترف لهم بأى حق في الاعتراض ولا في الاضراب ولا حتى في العمل حسب طاقتهم فإنه يكلفهم فوق ما يطيقون ويعين لهم حجم الانتاج الذى يجب ان ينجزوه وان جاوز طاقتهم ، فان عجزوا عن ذلك عوقبوا أشد العقاب ، بل ربما كان جزاؤهم القتل والابادة الجماعية على ما كان عليه الحال في ايام ستالين كما يحكى . وأخشى ان يكون المؤلف ينتقد هذه الحالة من معاملة العمال في بلاده ،

ولكونه لا يقدر ان يجهر بذلك فانه يرمى بها النظام البورجوازى الذى اتهم به الإسلام وفي الوقت ذاته ينفس عن مشاعره المكبوتة ، وهذا مما يتوافق والمثل العربي القائل «إياك أعنى وافهمى يا جارة ! » .

واحب ان القن المؤلف ومن كان على غراره في الجهالة بالإسلام بعض ما جاء به هذا الدين الحنيف من احكام وتعاليم في معاملة العمال والخدم ليعرف الفرق بينه وبين اى نظام آخر سواء كان رأسماليا أو اشتراكيا أو سواهما لأن الإسلام رسالة السماء وهو نظام قائم بنفسه لايشبهه شئ من هذه الانظمة الوضعية ، ومهما يكن فيها من قوانين محدثة لتحقيق العدالة الاجتماعية وضمان تكافؤ الفرص في العيش الكريم لافراد مجتمعاتها ، فان الإسلام قد سبقها لذلك بعدة قرون ، وتجافي الحيف الذى فيها على هذا الجانب أو ذاك ، فلم يفرط ولم يفرط (بتشديد الراء في الثانية) بل ان وسطيته ضمنت مصالح الجميع .

جاء في الحديث الذى رواه ابن ماجة وغيره عن ابن عمر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال: «أعطوا الأجير أجره قبل ان يجف عرقه» .. وهوحكم فاصل في اهم مادة من مواد قانون العمل اعنى الاجرة، يقرره هذا الحديث ويصوغه بصيغة الامر الذى لا يقبل مناقشة ولا مهاودة ، ثم هو يحسم في اداء الاجير أجره بما لا يدع مجالا للمماطلة أو التأخير ، اذ يعبر عن ذلك بهذه العبارة المؤثرة ، وهى قوله «قبل ان يجف عرقه»، اشعارا بما بذله الاجير من جهد وما تحمله من مشقة في انجاز العمل حتى صار إلى الحالة التى جعلته يعرق ، فلا جرم انه استحق أجره ووجب ان يستوفيه بمجرد ان ينتهى منه ، وخلاف ذلك ظلم وانتهاك للحق كما جاء في الحديث الآخر : «مطل الغنى ظلم !» (متفق عليه) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما لايطيقون فان كلفتموهم فاعينوهم فانهم لحم ودم مثلكم» رواه الجماعة. ان هذا الحديث وان كان واردأفي المملوك الا انه يشمل العامل من باب أولى وأحرى ، وهو يحدد طاقة العمل بمقدرة العامل وينهى عن

استنفاد مجهوده في عمل لا يطيقه الا ان يعينه رب العمل عليه . وهذا إلى ما تضمنه من وصاية بالمملوك واحسان اليه بحيث يتساوى هو وسيده في المطعم والملبس ، وذلك حين كانت القوانين في روما تبيح للسيد قتل مملوكه ، كما هي في النظام الشيوعي بالنسبة إلى العامل على ما المعنا اليه آنفا ، فليخرس المتجنى على القرآن وشريعته السمحة .

وبلغ اثر هذا الادب الإنساني الرفيع في المجتمعات الإسلامية إلى ان انعدمت الفوارق بين المشغل والشغيلة وكثيرا ما وقعت المصاهرة بينهما واعتبروا اسرة واحدة . وكان نظام الحرف في فاس وهى المدينة الصناعية المشهورة زيادة على كونها عاصمة الدولة ، يقضى بتبادل الاحترام بين صاحب العمل والعمال ، ولو كانوا من الصبية الصغار ولا يحدث ان يقع بينهم مشادة او خلاف ، فان وقع شئ من ذلك فهناك جماعة من المحكمين تتدخل لفض النزاع بما يحفظ الحق لمن هوله ، رئيسا كان او مرؤوسا وهذا إلى المتولى المختص الذى يسمى بالمحتسب وهو يمنع كل ضيم او تطاول يقع بين ارباب الحرف بمقتضى السلطة القانونية التى كانت له ، وليس هذا في محيط خاص من محيطات العمل بل هو شامل لجميعها وقد كانت في بعضها على ما ادركناه نحن تصل إلى بضعة آلاف في المحيط الواحد اى على مثل ما هو الامر عليه الآن في ميادين العمل والصناعة الحديثة وانشاء النقابات واتحادات العمال حسب القوانين المتبعة في ذلك .

ولم يكن الامر في المدن الصناعية الاخرى كمراكش والرباط وسلا وتطوان : يختلف عنه في فاس ، كما هو كذلك في المدن والعواصم الإسلامية في الشرق والغرب ، وبذلك لم تعرف بلاد الإسلام ثورة عمالية من نوع الثورات التى قامت في الغرب لان حقوق العمال فيها كانت مكفولة . وليس يعنى كلامنا على الصناع والعمال في المدن ، ان العمال الفلاحين كانوا مهدورى الحقوق فالامر في ذلك على السواء ، اذ ان الشريعة الإسلامية ضبطت حقوق العمال المزارعين بما لا مزيد عليه من الدقة ، وابواب المزارعة والمغارسة والمساقاة في الفقه الإسلامى معروفة وما استحدث في هذا الصدد من اجتهادات واحكـــام للنوازل الطارئة هو مما

خص بالتأليف وتطرقت له كتب العمل الخاص والمطلق .

وفي الصحيح من حديث النفر الثلاثة الذين كانوا في جبل فأخذهم المطر فآووا إلى غار فانحطت صخرة من الجبل فأطبقت عليهم الغار فلم يجدوا ملجأ الا الدعاء والتوسل بأحسن عمل عملوه ، فقال الثالث : اللهم اني كنت قد استأجرت أجيرا بفرق أرز فلما قضى عمله قال اعطني حقي فعرضت عليه الفرق فرغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرة ورعاءها فجاءني فقال اتق الله ولا تظلمني حقي قلت اذهب إلى تلك البقرة ورعاءها فخذها فقال اتق الله ولا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك ، خذ ذلك البقر ورعاءه فأخذه فذهب به . فان كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي من فم الغار ففرج الله عنهم . والحديث فيه ضرب مثل للمعاملة الحسنة من رب العمل للعامل عنده ، وهو ان كان خبرا ففحواه الطلب ، ولذلك فان المسلمين بهذا الرصيد الإنساني الهائل الذى يتوفرون عليه لم يعرفوا شيئا مما يتحدث عنه المؤلف من سوء المعاملة والاستغلال لجهود العمال في النظام البورجوازى وكذلك في النظام الشيوعى وان سكت عنه هو . وهذا امر عندهم من باب العقيدة وشعائر الدين الذى لا يعلم عنه المؤلف الا ما قاله قادة الشيوعية الثائرون على كل دين ولا سيما الدين الإسلامى الذى يقف قلعة شامخة في وجه اكاذيبهم وأضاليلهم ! . . .

وهكذا يعقب على كلامه السابق بقول لينين : « ان الدين يلقن الذل والخضوع في هذه الحياة ويمنى العاملين الكادحين بالتعويض في الحياة الأخرى ، وهو أفيون الشعوب وهى كلمة قد ابتذلت من كثرة ما تدوولت ، خاصة وان الناس لا يرون لها مصدقاً في الواقع ، بل على العكس يرون ان الذل والخضوع انما هما في النظام الشيوعى الذى يرغم اتباعه على الطاعة العمياء للرؤساء وتنفيذ الاوامر كيفما كانت من غير ملاحظة ولا مراجعة ،الامر الذى تضمحل معه شخصية الفرد وتنسحق ذاتيته تحت سيف الارهاب والتهديد ؛ في حين ان الدين يعلم الاعتزاز بالنفس والاحتفاظ بالكرامة والجرأة على قول الحق ونصرة المظلوم ولا يجيز الخضوع الا للخالق عز وجل . ولعل اعظم مثال نعطيه لهذه

الحقيقة هو المؤلف الذى نراه وقد خدره أفيون الشيوعية حتى لم يبق يـــرى لغيرها وجودا في العالم ، فالملايين الثلاثة ونصف من البشر كلهم على خطـــأ سواء كانوا مسلمين أم مسيحيين أو غيرهم ، والمصيب هـــو سبعة المـــلايين من اعضاء الحزب الشيوعى الذى يحكم الاتحاد السوفياتي ، أعنى ان الشعب الروسى والشعوب الاخرى التى يتكون منها الاتحاد وليست منضوية تحت لواء الحزب هى آيضا على خطأ . أليس هذا اعظم تغفيل في العالم ؟ .

ويتعرض المؤاف بعد ذلك في كلمات وجيزة للملكية الفردية فيعيب على القرآن انه يبيحها ، والى نظام الطبقات فيقول ان القرآن يقره ، ويستنكر قطع يد السارق زاعما ان ذلك من تضامن التشريع الإسلامى مع الطبقة الغنية ضـــد الطبقة الفقيرة وحماية مصالحهـــا الشخصية . . . اما الملكيـــة الفرديـــة فـــلا يعيبُ القرآنَ أنه يبيحها والعالم كله قديمه وحديثه يبيحها ويعتبر نزعها من صاحبها من أعظم الظلم وأســـوأ الغصب ، وقد تناولنا الكـــلام عليها غير ما مرة ، وخصصناها بالكتابة المستقلة فلا نطيل بأمرها هنا ، لا سيما والمؤلف انما ذكرها استطرادا في عبارة موجزة هى وما بعدها كعادته في ختام كل فصل من تعميم التشنيع وتنويع الاتهام .

واما الطبقية بمفهومها الاوربي فلا وجود لها في الإسلام ولم يعرفها المجتمع المسلم في تاريخه الطويل وفي اى قطر من اقطاره ، نعم ان القرآن لم ينكر اختلاف درجات الناس في الذكاء والعلم والغنى والقوة وما إلى ذلك مما هو طبيعى في الحياة الإنسانية وواقع لا يرتفع بالانكار ولا يخلو منه المجتمع الاشتراكى نفسه ، كما ألمعنا إلى ذلك أكثر من مرة في هذا الرد فماذا على القرآن ان أقر ذلك ؟

بقيت مسألة قطع يد السارق ، وقد غطى عليها إعدام المرتشى في الاتحاد السوفياتي فالمرتشى سارق في الخفاء ولو قطعت يده لكان أهون من ازهاق روحه ، فالذى حماه القرآن بقطع يد السارق هو الذى يحميه النظام الشيوعى بأفظع من القطع وهو القتل فما بالكم تشاركوننا في الفعل وتفردوننا بالانتقاد ؟ . . .

وبهذا ينفض المؤلف يده من هذا الفصل الذى جعل له ذلك العنوان الكبير ،

ولم يورد من ممنــوعــات القرآن شيئــا يذكر ، ونحن نتــوب عنــه فنختم ردنا على فصــله الهزيل بهذه الآيات البينات التى تحتــوى على بعض ممنوعات القــرآن في اســلــوب جميــل وصيــاغــة مــؤثرة ، قــال تعــالى :

(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا . إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ، وآت ذا القربي حقه والمسكين وابن السبيل ، ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا . وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا . ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئا كبيرا . ولا تقربوا الزني ، إنه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل ، إنه كان منصورا . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشــده ، وأوفوا بالعهد ، إن العهد كان مسئولا . وأوفو الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . ولا تمش في الأرض مرحا ، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها . ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) . صدق الله العظيم .

محاولات فاشلة لإصلاح القرآن ! ؟

يعبر عنوان هذا الفصل عن عقلية المؤلف الذى يحسب ان القرآن مذكرة سياسية او لائحة تنظيمية او تقرير حزبي يقدم للمناقشة . فهو لذلك يطرح مسالة الاصلاح والتحوير لمجاراة العصر وتطور المجتمع الإنساني ، تطبيقا على القرآن الذى قدم به العهد واصبح ،في حاجة إلى اعادة النظر في محتوياته وما جاء به .

وينطلق من ثم إلى الافتراض ان علماء الإسلام قاموا بمحاولات لاصلاح القرآن خضوعا لضغط النواميس الاجتماعية وتقلب الاحوال بانسان العالم المعاصر ، ويعتقد ان هذا الافتراض أمر واقع لم يكن منه بد ، ولكنه لم يأت بنتيجة ، فالمحاولات التى بذلت في هـــذا السبيل باءت بالفشـــل وبرهنت على ان القرآن لم يعد صالحا لحياة الشعوب في هذا العصر المتقدم المزدهر !

ويمعن المؤلف في تفكيره الساذج فيقول : « ان القرآن الذى مرت عليه ثلاثمائة وألف سنة في خدمة الاقطاعيين والمتمولين لا يمكن ان يبقى بلا تبديل لملاءمة الاحوال الاقتصادية الجديدة سواء بالنسبة إلى الرأسمالية ام الاشتراكية والشيوعية» كأن القرآن انما جاء لخدمة هذه المذاهب والسير في ركابها ،وليس له رسالة خاصة به ومذهب غير هذه المذاهب جميعا . ثم انه في هذا الكلام يتناقض مع زعمه من أن القرآن خدم مصالح الاقطاع واهل المال ثلاثمائة والف سنة ، وطالما كرر هذا الزعم فيما سبق له من فصول الكتيب ، وهو اذا كان كذلك ، فأى حاجة تدعو إلى مراجعته ليوافق مصالح الرأسمالية بالخصوص في حين انه لم يخالفها قط ؟ . . . ! .

ولعلم هـــذا المؤلف ومن كان مثله في الجهل والدعوى ، نقول ان القرآن كتاب عقيدة ثابتة راسخة لا تتبدل ولا تتغير ، وهي الإيمان بالله عز وجل خالق الكون ومدبره المنفرد بالايجاد والامداد . المستحق وحده للعبادة والطاعة . المختص بالملك والسلطان والحاكمية المطلقة ، رب القوى والقدر ، لا إله إلا هو ، قاهر العباد بالموت، باعثهم ليوم لا ريب فيه ، « فمن آمن وأصلح فلا خوف

عليـــهم ولا هم يحــزنون » ، ومن جحـــد وكفـــر فأولئك في العـــذاب هم خالدون .

فمن يا ترى في العالم يجرؤ على إصلاح هذه العقيدة ، من غير المسلمين فأحرى منهم ، وهى عقيدة الاولين والآخرين من البشر اجمعين . ما عدا حفنة من الملاحدة لا تبالى الإنسانية بهم بَالةً ، منذ كانت على اختلاف اجناسها والوانها ونظمها وطرائق معيشتها حتى يومنا هذا في شرق وغرب ، وحتى في البلاد الشيوعية التى انما يتظاهر فيها بالالحاد ثلة من الحكام المتطرفين محافظة على نفوذ الحزب وسمعته .

والقرآن كتاب شريعة إنسانية عادلة أعطت لكل ذى حق حقه ووضعت كل امر في نصابه ، ومن اعظم مزاياها انها ساوت بين الامم والشعوب ، والغت جميع الفوارق بين افراد البشر ، فلا فضل لأبيض على اسود ولا لغنى على فقير ، ولا لحاكم على محكوم ، الا بما يتفاضل به الناس من علم وعمل وخدمة للصالح العام ، ورفعت الحجر عن المستضعفين والمضطهدين ، وردت للمرأة اعتبارها فأجلستها على عرش الأمومة المقدسة والزوجية المحترمة ، وأولت لبنُوتها وأخُوتها كل عناية وتكريم ، وجاءت بقواعد اساسية في التشريع تعتبر اصلا تندرج تحته كثير من الفروع ، وبذلك ضمنت مسايرة الأوضاع المتغيرة في مختلف الامكنة والازمنة مع عدم المس بهذه الاصول والقواعد . فكيف يقول أحد بإصلاح ما يذكر من مبادئ ونظريات لم يصل اليها أكثر قوانين العصر تقدما ورقيا . اللهم الا ان يكون المراد بالاصلاح عند المؤلف هو قيام الديكتاتورية الشيوعية المقيتة ! .

والقرآن دستور اخلاق ومعاملة وسلوك إنساني مهذب رفيع ، أخرج امة من العدم وجعلها في قمة الهداية والرشد والاستقامة، وانتشرت في انحاء المعمور ،تبث المعرفة وترفع لواء العدالة وتؤاخى بين الناس من جميع الطبقات فكونت تلك الحضارة الإنسانية التى عاش في اكنافها سكان القارات الثلاث المعروفة آنذاك ، على اختلاف أجناسهم والوانهـــم ودياناتهم ولغاتهم ، آمنين مطمئنين لا يعرفون ميزا ولا

استئثارا ولا تفرقة ولا تعصبا مما تعانيه الإنسانية اليوم بحكم سيطرة الحضارة العصرية شرقية كانت أو غربية ، ولا يزال القرآن مستعدا وبتمام الصلاحية لأن يبنى ذلك المجتمع الإنساني الفاضل على النطاق العالمى اذا عادت الامة الإسلامية إلى سيرتها الاولى وتمسكت بكتابها وعملت بمقتضاه غير معرجة على شئ من هذه الايديولوجيات الاجنبية التى إنحرفت بها عن الطريق وصدتها عن النهوض برسالتها الخالدة . وهذا هو الاصلاح الذى يؤمن به جميع المسلمين اليوم ، لا ما ثرثر به المؤلف ، **وهو إصلاح لما بالمسلمين على نهج القرآن ، وليس إصلاحا للقرآن ! . . .**

والقرآن أخيراً لا آخرا هو المنشور الالهى الذى اطلعنا على ما لم تصل اليه اساطين العلم واقطاب الفلسفة من حقائق الغيب واصل التكوين وامر المعاد كما قال الاستاذ مورسى بوكاي العالم الفرنسى الشهير مؤلف كتاب القرآن والانجيل والعلم وهذه عبارته : ان القرآن الكريم قد اعطى تفسيرا عقلانيا للكون والخلق يفوق كثيرا ما وصل الينا محرفا من الكتب السماوية التى سبقته . وقال في محاضرة القاها مؤخرا بمعهد الكومنولث ، في لندن ونشرها المجلس الإسلامى الاوربي: ان القرآن هو الكتاب الوحيد الذى احتوى على حقائق علمية سابقة لعصره . ولم يتمكن العالم من ادراك صحتها الا اليوم . وأشار بوكاي إلى القصص الذى ورد في القرآن الكريم بشأن القرون الاولى . وقال انه موافق للمعرفة العلمية الحديثة ولم يتعرض لما تعرض له القصص الوارد في الكتب السابقة عليه من تغيير جعل ما ورد فيها من بيانات غير مقبولة علميا ، نظرا إلى ان القرآن الكريم قد تم نقله بشكل متواتر حفظا في الصدور وكتابة في الصحف ! . . .

هذا هو القرآن الذى يقول رحماتوف انه اصبح بحاجة إلى الاصلاح ليساير العصر وتطور الإنسانية . وتطور الإنسانية عنده هو حكم البروليتاريا اى العوام الذين يقول فيهم كاتبنا العظيم أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : **انهم اذا تفرقوا نفعوا ، واذا اجتمعوا ضروا ! . . .**

واذا اثبتنا ان القرآن الكريم ليس في حاجة إلى الاصلاح وان المسلمين عموما علماء وغيرهم لم يفكروا قط في اصلاح من هذا القبيل فلننظر فيما زعمه المؤلف من الاصلاحات التى ادخلها الفقهاء على القرآن . وكانت غير ذات قيمة بحيث لم تغن عن الاصلاح الحقيقى الذى يجب ان يأخذ به المسلمون في رأيه . وهو اعتناق الشيوعية .

قال : « ان القرآن في عدة أمكنة منه يوجب على المسلمين ان يجتمعوا في المسجد للصلاة ، واليوم يقول الفقهاء ان المسلمين يمكنهم ان يصلوا في المسجد او في اى مكان آخر جماعة او أفرادا . ويقول القرآن انه في ايام العيد يجب على المسلم ان يذهب على قدميه إلى المسجد ، ويتوقف عند كل عشرين خطوة ليقرأ دعاء خاصا ، وبما ان الظروف تغيرت فالمفتى ورئيس المجلس العلمى قد نشرا رسالة تبطل المخطط القرآني وتأذن للمؤمنين بالذهاب إلى بيوت الله على المركبات الحديثة ، الترام ، والحافلة ، وغيرهما وقد كان فقهاء الإسلام وما بالعهد من قدم ينكرون جميع الانجازات العصرية التى اخترعها الذكاء الإنساني كالكهرباء والراديو والتلفزيون ونحوها ويعتبرونها من عمل الشيطان » .

وهذا الكلام اذا كان يثير الضحك من عقلية هذا المؤلف الصبيانية فهو حرى ان يبعث على الاشفاق من حاله لبلادة حسه وخمود قريحته وانطفاء نور عقله ، فقد برهن بما لا يدع مجالا للشك في انه لا يعرف القرآن الذى يرد عليه ، وان كانت ادعاءاته السابقة تدل على ذلك . الا اننا كنا نقول ، ربما لم يفهم او انه حرف الآيات الكريمة عن مواضعها ، اما هنا فانه يعطى الدليل القاطع على انه لم يقرأ القرآن بله ان يفهمه ، والا ففى اى سورة وآية أوجب القرآن على المسلمين ان يصلوا في المساجد جماعة او ذكرت صـــلاة العيد فأحرى ان يذهب المسلمون اليها راجلين حتى يكون ما نقله عن الفقهاء اصلاحا لما في القرآن ؟ بل في اى كتاب من كتب الحديث او الفقه جاء وجوب ما ذكر على المسلمين ، ومنذ ظهور الإسلام إلى الآن كان المسلمون يصلون في بيوتهم وفي غيرها من الاماكن فرادى وجماعات كما يصلون اذا امكنهم ذلك في المساجد . ومن خصائص هـــذه

الامة ان الأرض جعلت لها مسجدا فأينما ادركت الصلاة المسلم فليصل كما في الحديث الشريف . ولو كانوا يصلون كلهم في المساجد لما كفتهم الآلاف منها .

وكانوا يذهبون إلى صلاة العيد راجلين وراكبين من غير حرج عليهم في ذلك ، وهذا مما يتضمنه اصغر كتب الفقه التى يتعلم بها الاطفال شعائر الدين في المدارس الابتدائية ، ولا يجهله احد من المسلمين بحيث لو سأل هذا المؤلف الجاهل اى عامى مسلم لقال له ان الصلاة تصح في كل مكان جماعة وأفرادا ، وان الذهاب اليها يجوز بكل وسيلة لا يستثنى الا صلاة الجمعة التى يطلب إيقاعُها جماعة في المسجد عند عدم العذر ، وهى انما تكون مرة في الاسبوع .

أليس هذا مما يعطى صورة غير مرضية عن الاتحاد السوفياتي كما قلنا سابقا فإن ممثل اى دولة في الخارج انما هو وجهها او واجهتها وبئس هذا الممثل من وجه وواجهة ! .

اما قوله ان الفقهاء كانوا ينكرون جميع الاختراعات العصرية كالكهرباء وغيرها ، فان عُهْدته عليه والمعروف عندنا ان نور الكهرباء ادخل إلى المساجد في العالم الإسلامى قبل الكنائس لان الرهبان هم الذين انكروه او توقفوا على ادخاله إلى المعابد تطهيرا لها منه او وقوفا مع العوائد . نعم ان كان عند الاتحاد السوفياتي فقهاء من هذا القبيل فهم نتيجة الضغط على الافكار ومحاربة الدين وعلومه . فربما نصب المسؤولون هناك اشخاصا جهالا كمؤلفنا السفير ، مفتين ورؤساء للمجالس العلمية ، ولا غرابة عندئذ ان يصدر عنهم مثل ما صدر عنه من الاقوال المضحكة ، ونستثنى قطعا من رأيناهم من علماء المسلمين في الجمهوريات الإسلامية المنضمة إلى الاتحاد السوفياتي ، فهؤلاء على ما نعرفه منهم من العلم والفضل لا يصدر عنهم شئ مما قاله رحماتوف بأى حال ! . . .

بعد هذا يأتي المؤلف بكلام فارغ عن كتابه القرآن في زمن أبي بكر ثم في عهد عثمان ، ويقول ان ظهور القرآن اولا كان بأربع روايات مختلفة ، وهو يعنى ولا شك المصاحف الاربعة التى كتبها عثمان وبعث بها الى الاقطار الإسلامية وهى كانت نسخا متوافقة ولم تكن روايات وبها قضى على جميع

الاختلافات التي بدأت تظهر بين قراء القرآن . ويزيد قائلا : « ان القرآن أعيدت كتابته عدة مرات من جانب الفقهاء الذين أدخلوا عليه تغييرات شخصية وتعاليم اخذوها من ديانات اخرى مثل النصرانية والبوذية واليهودية » ومثل هذا الكلام يعرف بطلانه العدو والصديق والمسلم وغيره ، فلا نطيل برده لأنه لم يقل به احد حتى من غلاة المبشرين ومتعصبة المستشرقين الذين لا يتورعون عن الكذب والبهتان ، ولكنهم لم يبلغوا في الوقاحة والصفاقة إلى ما بلغه هذا الجاهل المغرور .

ويتعرض إلى تدوين الحديث فيقول: ان اول مجموعة منه كتبت في عهد خليفة بغداد سنة ٧٦٠ وهو الخليفة المنصور ، وتدوين الحديث بالمعنى الواسع بدأ في عهد الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز بإجماع المؤرخين عن امر منه لابن شهاب الزهرى كما هو معروف ، فالمؤلف لا يضبط تاريخا ولا يحقق مسألة مما يخوض فيه ، والعجب من صدور كتيب كله خطأ ، مثل هذا ، في الاتحاد السوفياتي ، وفيه عدد من الباحثين والمستشرقين المحترمين ، فعلى الاقل كان على الرقابة الصارمة في تلك البلاد الا تسمح بنشره حماية لسمعة علمائها ومعاهدها الاستشراقية التي يمرغها رحماتوف في التراب ! . . .

ثم يتعرض لذكر الفرق الإسلامية فيخبط في ذلك خبط عشواء ولا يزيد على أن يسرد بعض الأسماء ، وهي الخوارج والبابية والبهائية في ايران والعراق كما يقول ، والشيعة والإسماعيلية في ايران والهند والمعتزلة في العراق والوهابية في الحجاز ، والزيدية في اليمن ، وبقطع النظر عما في توزيعه لهذه الفرق على البلدان من خطأ فإن البابية و البهائية فرقة واحدة ، وهي ليست فرقة إسلامية بل منظمة تخريبية أنشأها اليهود والانجليز لمحاربة الإسلام ، ثم هو يطرح اسماء هذه الفرق على اعتبار ان قيامها انما كان لاصلاح القرآن وهو زعم مردود من كل المسلمين كما بينا ذلك آنفا . وهذه الفرق منها ما انتهى امره ولا وجود له الآن ، ومنها ما هو مذهب من مذاهب الفقه الإسلامى كالزيدية وليس فرقة بالمعنى الاصطلاحى ومع ذلك فان نشوء الفرق المذكورة وغيرها ، لا يكون الا عن

اختلاف وجهة النظر في مســألة من المسائل ، التى لم يرد فيها نص قاطع ، فشتان بين ما يحملها عليه هذا المتنطع بفهمه الغليظ ، وبين واقع الامر وسبب قيامها ، وهى قبل كل شئ لا خلاف بينها في اصول الدين وفروعه الا قليلا من المسائل ، ليس منها ولا واحدة تهدف لإصلاح القرآن او تعمد إلى مخالفته .

بعد هذا يتطرق المؤلف إلى الكلام على المسلمين في روسيا قبل الثورة الشيوعية وبعدها ، فيقول ان فكرة الاصلاح قد ظهرت بينهم منذ سنة ١٩٠٥م وقسمتهم إلى فريقين مجددين ومحافظين . وهو يخلط في كلامه على كل من الفريقين ، كعادته في عدم تحرير اى بحث ، وتناوله بما يلزم من الموضوعية ، ويسف حتى يجعل المجددين هم الذين نبذوا الطربوش ولبسوا المعطف ، فينحرف عن صلب الموضوع ويتعلق بسفاسف الامور . ثم يقفز إلى الكلام على قيام الثورة فيقول انها استعجلت حركة الاصلاح بين المسلمين وجعلت علماء الإسلام يعملون على تقريب تعاليم القرآن من التطور العظيم الذى حققته الشيوعية في مختلف مجــالات الحياة بالاتحاد السوفياتي ، فمثلا سفور المرأة ونبذها للحجاب ومساواتها للرجل في جميع الحقوق الذى هو مما أتت به الثورة ، يقول هؤلاء العلماء بصدده انه ممــا جاءت به الشريعة الإسلامية ولا يعارض القرآن ، فلماذا لم يقولوا هذا من قبل الثورة ، ولماذا كانت المرأة المسلمة على مدى ١٣٠٠ سنة تعتبر في شريعة القرآن بمنزلة قرين الشيطان . ولعلنا وقد رددنا على كل هذه الاتهامات وغيرها ،في الفصل ٧ الخاص بمكانة المرأة في القرآن والدين الإسلامى لم نعد بحاجة إلى تزييف افتراءات المؤلف وإبطال دعاويه التى لا سند لها . ومن حقنا ان نقول ان المرأة المسلمة كانت وما تزال خيرا من المرأة الغربية في كل شئ ، وبأدني مقارنة بينهما يتبين صدق ما نقول فهى في الحقوق أفضل من الغربية كما يعلم من مراجعة الفصل السابع المشار اليه ، وكفى ان نفقتها تجب على الرجل وان تصرفها في مالها غير مقيد بموافقة الرجل ، وكلا الامرين ليس من حق المرأة الغربية وانها ترث في كل حال ، في حين ان الغربية كثيرا ما تحرم من الإرث ، وهى بالشخص اشرف من الغربية لانها على جانب من الحياء والعفة والصون ليس للغربية ، والعيان اعظم شاهد ، وهى في التعاون مع الرجل وتربية الاطفال وتدبير المنزل مثل يضرب للغربية

وغيرها . وكل ذلك وغيره كثير ، انما هو من تمسكها بعقيدة الإسلام وآدابه ومـا رسمته لهـا الشريعـة الإسلاميـة من واجبـات وحقوق . ونعنى بالمـرأة الغربيـة ما يشمل الروسيـة غير المسلمـة بالطبـع ، سواء قبـل الثورة وبعدها .

ويختم المؤلف هذا الفصل بتمجيد الشيوعية والطعن في الإسـلام وذلك بعبارات نابية والفاظ تبين عن وضاعة منشئه . ويتحمس في انكار الدين ، اى دين كان ويبلغ به التعنت إلى القول انه اذا كانت حركة الاصلاح الإسلامى صحيحة فهى اذن ضد الله . اى ضد ما زعم انه تعاليم القرآن ، ويعقب على ذلك بقوله « لكن الواقع انه لا وجود لله ! » تعالى الله عما يقوله الملحدون علوا كبيرا .

وهذا الكلام ان كان يقصد منه اقرار الشيوعية ونفى الاديان جملة فإننا انما نرد عليه بقول احد الفلاسفة المعاصرين وهو (برنار ليفى) : ان « المادية » تحولت إلى ضرب من الرابطة الاجتماعية لتلك البربرية ذات المظهر الإنساني — يعنى الاشتراكية — وان الماركسية هى دين هذا العصر . ولذلك فهى قد اصبحت « أفيون الشعوب » .

لا ، لا يجب الاعتقاد بالقرآن ! :

وأخيراً ، وبعد ما أفرغ رحماتوف جعبته مما فيها من الطعن والسباب للقرآن والإسلام وسائر الاديان ظن انه قد حقق الهدف من حملته المسعورة ، فعنون فصله الاخير بهذا العنوان السخيف .

وقد استهله بهذا السؤال : ماذا يعلم القرآن ؟ وأجاب بأن علماء الإسلام يقولون ان القرآن يجب ان يكون في القلب ولا يبتعد عن الضمير ، وان يشغل المكان الاول في الفكر والشعور ويعتبر المثل الأعلى للحياة .

ويعقب على ذلك بكلام لكارل ماركس قاله في نقد فلسفة هيجل ونظره في الاصلاح اللوثرى وملخصه ان لوثر عوض خضوع العبادة بعبودية العقيدة

وحول الراهب إلى لا ديني واللاديني إلى راهب اى انه حرر الإنسان من التدين ظاهرا وجعله متدينا باطنا . ثم قال : ان كلام كارل ماركس هذا يمكن تطبيقه على علماء المسلمين الذين حرفوا القرآن فجعلوا كل ما هو خارج عن الجماعة الإسلامية مجموعة من المجرمين .

ان كلام هذا الكاتب متهافت من تلقاء نفسه ، فهو اولا يقول عن علماء المسلمين ان القرآن يجب ان يكون في القلب وتعاليمه هى المثل الأعلى للمسلم ، وهذا صحيح ، وثانيا يعقب عليه بكلام عن نظر الفيلسوف هيجل في حركة لوثر مؤسس المذهب البروتستاني في المسيحية ، وعلى ما في هذا الكلام من مآخذ فان بين البروتستانية والإسلام بونا شاسعا وكيف يلتقى المذهب البروتستاني مع الإسلام الذى جاء لإصلاح المسيحية وما دخلها من التحريف وخصوصا في العقيدة ؟ فالمسيحية دين التثليث والإسلام دين التوحيد، وعقيدة الصلب والفداء في المسيحية تقابلها في الإسلام مقابلة التضاد آية (ولا تزر وازرة وزر أخرى) والغاء العبادات البدنية في البروتستانية على زعم هيجل اكتفاء بالايمان الباطنى يقابله في الإسلام الاركان الخمسة التى لا يتحقق إسلام احد الا بها وهى الشهادة والصلاة والصيام والزكاة والحج ، إلى آخر القائمة فأين التشابه بين البروتستانية وما زعمه هذا المؤلف من انطباق قول كارل ماركس فيها على ما عمله علماء الإسلام في القرآن من تغيير بزعمه ! . . .

ثم ان القرآن لم يحرف قط ، هو محفوظ في الصدور وفي الصحف بشهادة العدو والصديق ، والله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظه في قوله (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون) وهذه الآية يقرؤها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ويتحققون من معناها ، ولو كان أحد تسور على القرآن وحرف منه ولو حرفا واحدا لما بقى لهذه الآية قيمة ولبطل القرآن في جملته وتفصيله ، ولكان اعداء الإسلام من المبشرين المسيحيين والملحدين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم اول من يعلن ذلك ويطيروا به فرحا وتشنيعا على الإسلام وكتابه المقدس ! . .

ويتابع المؤلف أوهامه عن تحريف القرآن من طرف علماء المسلمين وهو

يتمثل ما يعتقده الشيوعيون ولا سيما الرسميون منهم فيمن ليسوا على مذهبهم ، فيزعم ان غير المسلمين في نظر علماء الإسلام انما هم مجموعة من المجرمين وهذا تقول على هذه الطائفة من أفاضل المسلمين الذين هذب الإسلام اخلاقهم وجعلهم في مستوى من الشعور الإنساني لا يرقي اليه تصور صعلوك من صعالكة الشيوعية مثل المؤلف . فان علماء المسلمين من أخص آدابهم التى يلقنونها للجماهير المسلمة ان لا يحتقروا احدا من الخلق وان لا يروا لانفسهم فضلا على غيرهم كائنا من كان . لان الخاتمة مغيبة عن علم الإنسان وانما الاعمال بالخواتيم . وقد جاء في شعر لبعض كبار المربين منهم :

ولا تَرينَّ في الأرض دونك مؤمنا ولا كافرا حتى تغيب في القبر
فإن شهود الأمر عنك مغيب ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر

والاصل في ذلك قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم) ، ومن المقرر في علم التوحيد ان النبي محمداً صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة وان الخلق بالنسبة اليه هم ما بين امة دعوة وامة استجابة ، فأمة الاستجابة هى التى آمنت به ودخلت في ملته ، وأمة الدعوة ما عداها وهى في كل وقت مدعوة إلى الإيمان به والدخول في دينه فكيف يعتبرها العلماء مجموعة من المجرمين ، وفي القرآن خطاب للجماعة الإسلامية (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) وقال علماؤنا في تفسير الحديث الشريف (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) المراد بالأخ هنا الاخ في الإنسانية ، والمطلوب ان يحب له النجاة بالدخول في الإسلام كما يحبها لنفسه ، فهل بعد هذا السمو في الشعور الإنساني يقال ان علماء المسلمين يرون في غير المسلمين مجموعة من المجرمين ؟ ان هذا كما قلت تمثُّل لرأى الشيوعيين في غيرهم !

ثم يقول رحماتوف بعد ذلك : كل ما يهم الناس من الامور وكل رغباتهم في الحياة ولو كانت شيئا حسنا هى شئ باطل أولا أهمية له حسب تعليمات

الفقهاء التى يلقنونها للناس . وهذا كذب محض فالفقهاء انفسهم يشتغلون بما يهمهم من امر الدنيا كما يشتغلون بأمر الآخرة ، وعموم المسلمين كذلك ، وما أسس الفقهاء علم الفقه والاحكام الا لضبط مصالح الناس وتحصين حقوقهم ، ومثالا على ذلك الملكية الشخصية التى يصادرها القانون الشيوعى ، ويحميها الفقهاء بمقتضى التشريعات الإسلامية الصريحة . وحرية الفرد وحرمة البيت وحق التنقل والاجتماع والتعبير عن الراى مما يحرم الحكم الشيوعى منه الناس ، هى أشياء يبيحها الشرع الإسلامى ويقف الفقهاء موقف الدفاع عنها ضد كل متسور عليها .

ولا أدل على ذلك من هجرة العديد من الشيوعيين ولجوئهم إلى بلاد العالم الحر ، ولم نر من هاجر من هذا العالم فأحرى من بلاد الإسلام إلى البلاد الشيوعية .

ويزيد هذا المؤلف قائلا : بدراسة القرآن نستخلص ان الحياة الحقيقية للإنسان ليستهى وجوده في هذه الدنيا . ولا نضاله من اجل سعادته ورفاهيته ، ان الحياة الدنيوية مؤقتة ، وأفراحها خداعة والقرآن يؤكد ان الله يراقب مصير كل احد ، وان الإنسان حقير وذليل أمام الله .

والرد على مثل هذه التقولات قد تقدم في الفصول السابقة . ولا سيما الفصل الخاص بالتعريف بالقرآن ومع ذلك فاننا نعيد إلى الاذهان ان القرآن كما يدعو إلى العمل للآخرة كذلك يحض على اصلاح امر الدنيا فالله تعالى خلقنا من الأرض وجعلنا عمارا لها لا مخربين ولا مهملين ، فالآية الكريمة تقول (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) وهذا خطاب للإنسانية بصفة عامة ، وتقول (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) وهو خطاب للفرد في نطاق الجماعة . واما كون الحياة الدنيا مؤقتة فهو امر مشاهد والتذكير به حافز على التيقظ والمسارعة إلى عمل الصالحات وما خلا كتاب حكمة ولا دعوة لنبى من التنبيه على ذلك . وكونه تعالى رقيبا على مصائر الخلق هو عقيدة ثابتة في جميع الاديان ، ولا ندرى ما ينقد المؤلف منها الا ان يكون

مراده تخلى الله عن مراقبة خلقه للمراقبة الشيوعية التى تحصى الانفاس على الناس وتأخذهم بالظنة وتعاقبهم بالتوهم . وبالجملة فالنظر الصحيح للدنيا هو ما تضمّنه القرآن الكريم مما اشرنا اليه باختصار ، وتجمله الآية الكريمة القائلة (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) فهى لم تزهد فيها بل جعلتها وِراثة للعاملين المصلحين ، وكفى بذلك ترغيبا في السعى والجد وعدم التواني والكسل . ولا نعلق على آخر كلمة في جملته السابقة الا بأن الخير كل الخير ان يكون المرء ذليلا لله خاضعا له فذلك اولى وافضل من ان يكون ذليلا خاضعا لزبانية الحكم الديكتاتورى والشيوعى بالاخص الذى أهدر قيمة الفرد وجعله مسخرا بمثابة الآلة الصماء لا ارادة له ولا اختيار .

ويستدرك هذا المؤلف على القرآن بزعمه فيما نسبه اليه زورا وبهتانا فيقول : « لكن الإنسان ليس شيئا لا اهمية له ، ليس دودة حقيرة ، ليس حفنة من تراب كما يقول القرآن ، ان الإنسان معجزة على هذه الأرض وكل معجزات العالم نتيجة لقدرته الخلاقة وعقله وتفكيره كما يقول مكسيم جوركى » .

لم يقل القرآن ان الإنسان مخلوق لا أهمية له ، ولا انه دودة حقيرة ، فهذا من تخرصات الكاتب واجترائه على اعظم كتاب دينى يعرفه العالم كله . وليس من المعقول ان يخلق الله الإنسان ويجعله خليفة له في الأرض كما يقول القرآن حقا : (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) يعنى الإنسان ، نقول ليس من المعقول ان يكون الإنسان بهذه المثابة عند الله ويخبرنا القرآن بذلك ثم يزعم زاعمٌ انه لا اهمية له ، وينسب ذلك إلى القرآن . ان هذا القائل متأثر بالمذهب الشيوعى الذى يلغى قيمة الفرد ولا يعتبره شيئا الا في ضمن الجماعة ، وبحكم كفره بالاديان كلها وكتبها وخاصة القرآن ، أراد ان يدلس على مواطنيه من الروسيين فألصق ما يلقّونه من المهانة والاحتقار بالقرآن ليوهمهم ولا سيما المسلمين منهم ان ذلك من الإسلام وليس من الشيوعية .

واما احترام القرآن للإنسان وما له فيه من الاعتبار الخاص فتنبئ عنه عدة آيات كريمة من أوضحها دلالة على ذلك قوله تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم

وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) وقضية اسجـــاد الملائكة لآدم كافية وحدها في تفضيله على الملائكة انفسهم ، قال تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) وكان امتناع ابليس من السجود له سببا في لعنه وطرده وكتابة الشقاوة عليه ، مـــدى الابد ، واستنبط علماء الإسلام من هذا ان الإنسان على العموم افضل من الملائكة ثم فصلوا ذلك بان خواص البشر كالانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام افضل من خواص الملائكة ، وخواص الملائكة افضل من عوام البشر ، ولا شئ فوق هذا من الاعتبار والتكريم .

وكون الإنسان قبضة من تراب هو واقع خلقه ، فان انشاءه كان من التراب وإلى التراب يعود إلى ان يبعث ، وهذا شئ ثابت بالعلم وليس على القرآن فيه درك . نعم ما نقله المؤلف عن الكاتب مكسيم جوركى مستدلا به على القيمة العظمى للإنسان هو وان كان خيال كاتب لا يصح به الاستشهاد في هذا المقام الا اننا نعلق عليه بمـــا يوضحه للقارئ العادى ولا يدع فيه شبهة لاحد . فاما كون الإنسان معجزة فهو حق ولكنها معجزة الخالق عز و جل الذى ابدعه وخلقه في أحسن تقويم فهل يعتقد هـــذا العبيط ان جوركى اراد ما يفهمه هو من ان الإنسان معجزة وجدت بطريق الصدفة ولا صانع لها ؟ واما ان كل معجزات العالم هى من صنـــع الإنسان فيقال عليه ان من هذه المعجزات السماوات والأرض وسائر الكواكب والحيوان والنبات وغير ذلك من المخلوقات ، فان كان الإنسان في نظره هو مبدعها وخالقها فكيف واين ومتى ؟ ؟ ؟ ليخبرنا حضرته بذلك وليعطنا الدليل عليه ، فالعلم والفلسفة حائران أمام هذا الوجود وكم تكون فرحة البشرية عموما بعلمائها وجهالها عظيمة حين يطلعها هذا المؤلف العبقرى على سر الخلق وعلة التكوين ! . . .

ولا يلبث المؤلف ان ينقض كلامه بنفسه حين يقول ان عقل الإنسان الذى اخترع في الماضى معبودا غير طبيعى وسماه الله ، يحطم اليوم هـــذه العبادة ، وهو مستندا إلى العلم ، ينبذ معتقدات القرآن ويعمل لسعادة الإنسان على هذه

الأرض . . . فاذا كان عقل الإنسان وارادته الخلاقة هى التى اوجدت المعجزات التى على الأرض في الماضى فكيف هفا هذا العقل واوجد معبودا لا حقيقة له ، وعاد الآن يحطمه وينكر الاعتقاد به ؟ أليس من الجائز بل المؤكد انه مخطئ في الحاضر كما كان مخطئا في الماضى؟ وهذا كما لا نحتاج ان نقول على سبيل التنازل واعتبار ما يعتقد طغمة الملاحدة بحق الله عز وجل . والا فإن تناقض هذا الكاتب والهراء الذى يتضمنه كلامه لا يستحق ان يسمع ما دامت الدنيا ، كل الدنيا ، تؤمن بوجود الإله وتخزى المارقين .

ويعيب الكاتب على القرآن تقسيم الناس إلى مؤمن وكافر ويمجد الشيوعية والاتحاد السوفياتي اللذين يناضلان من اجل ان يعيش الناس كأسرة واحدة لا يفرق بينهم جنس ولا لون ولا لغة ولا دين . . . وهذه دعوة القرآن منذ اربعة عشر قرنا حين قال : (ياأيهـــا الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وهى دعــوة لم تطبق قط في مجتمع كمـــا طبقت في المجتمع الإسلامى على ما تقدم تقريره في الفصول السابقة ، اما ما ادعاه الكاتب للشيوعية والاتحاد السوفياتي فهو كلام لا حقيقة له ودعوى ليس لها واقع ، وكفى ما يعانيه العالم من أخطار التفرقة بين المعسكرين الشرقي والغربي دليلا على عدم صحة ما زعمه وبطلان ما ادعاه .

ويعود فيكرر كلامه الممجوج من ان القرآن يحط من قيمة الإنسان ويستعبده لقوة لا ترى ، ويشيد بقدر الإنسان مستشهدا بقول (لوباتشفسكى) ان الإنسان هو السيد الغازى والمالك للطبيعة . واذا كان هذا فقط ، هو ما يثبت قيمـــة الإنسان عند الماديين ، فان القرآن قد عبر عن ذلك بأبلغ عبارة في عـــدة آيات منها قوله (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) فجعل كل مـــا في الكون مسخرا للإنسان ولم يخص الطبيعة بل عمها وغيرها ، وقال في آية اخرى (الله الذى خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر

دائبين، وسخر لكم الليل والنهار. وآتاكم من كل ما سألتموه) إلى غير ذلك من الآيات القرآنية في هذا الصدد فأيهما أدل على كرامة الإنسان واعلاء شأنه كلمة لوبا تشفسكى ام هذه الآيات البينات التى تعد مقارنتها بتلك الكلمة كمقارنة البلور بالزجاج ؛ على ان لها نظائر عديدة يطول بنا الامر اذا جلبناها ، ويكفى في الاعتبار ان نوجه النظر إلى التعبير فيها بالتسخير مما يلمح إلى تطويع الطبيعة للإنسان ، وبذلك كانت مجال فتوحات علمية له تشمل حتى الفضاء ، ألم تقل الآية (وسخر لكم الشمس والقمر؟) على ان اعظم من هذا هو خلافة الله في الأرض وقد سبق الإلماع لها ! . . .

والعجيب ان يحتج هذا المؤلف بكلمة عابرة لشخص من آخر القرون على كتاب يشتمل على العشرات من الكلمات التى هى أبلغ منها في الموضوع ، وهو كتاب يرجع تاريخ نزوله إلى اربعة عشر قرنا سابقة ! . . . .

ويتَبجَّحُ المؤلف كما فعل مرارا بأن الإنســان ادرك بعقله الجبار جميع اسرار الطبيعة وكشف عن حقائقها الا اشياء قليلة هو بصدد معرفتها ولا يمر زمن قصير حتى يهتك ستارها ويحيط بكنهها ، وقد رددنا عليه في هذا الادعاء سابقا بما يناسب ، وهنا نقول له اذا كان الامر كما تقول فما هو هذا العقل الذى جعله بهذه المثابة من العلم بكل شئ ؟ إن الإنسان إلى الآن وسيبقى كما هو الآن على مدى الزمان يقر بالعجز عن معرفة ماهية العقل الذى وهبه إياه واهب القوى والقدر وخالقها والمنفرد بمعرفة حقيقتها وكنهها والمنزل منها بقدر ما يشاء . كما تقول الآية القرآنية الكريمة (وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) فأين هذا المدعى من خزائن ما عند الله مما يعجز عنه الإنسان ويلقى باليد أمامه ، ولا ينفعه معه الا التسليم والاعتراف بالقصور ! ؟

ثم يخوض في مسألة القضاء والقدر مما سبق له ان تورط فيه ولم يخلص منه الا بما يدل على جهله وعدم تصوره للمسألة كما بينا ذلك عند نقض كلامه فيها ، لكنه في هذه المرة يحكى عمن سماه المفتش عباس انه مكث حقبة طويلة من عمره يدرس القرآن ويفسره ، واخيراً وقف عند هذه المسألة واستنكرها وفقد ثقته

في القرآن وارتد على عقبه ، فلعله يعنى نفسه لان اسمه رحماتوف يدل على انه كان مسلما ، واذا صح هذا التقدير فاننا نقول ان المعرفة التى يتوفر عليها حضرته بالقرآن . وهى كما رأينا معرفة ناقصة وسطحية وغير صحيحة ، لا عجب ان تؤدى به إلى هذه النهاية المؤسفة وهى الردة والعياذ بالله، وهذا امر أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه القائل: « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» وسواء كان هذا المفتش المسمى بعباس شخصا حقيقيا ام كان هو المؤلف نفسه تستر باسمه ، فمن العباطة ان يجعله حجة على نبذ القرآن وعدم الإيمان به ، ويكون ما قصه من امره هو النتيجة التى انتهى اليها من كتيبه هذا وعنون بها فصله الاخير . فما اسخف عقله وابلد حسه ! وأحرِ بالقضية التى يدافع عنها مثله ان تكون قضية خاسرة . فليأخذ رؤساء الحزب الشيوعى درسا من عمل هذا المؤلف الذى جعلوه داعية لمذهبهم فكان ضدا عليه .

ونختم هذا الرد بقوله عز وجل حاكيا عن نبيه موسى عليه السلام مخاطبا من أرسل اليهم : (وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغنى حميد).

صدق الله العظيم والحمد لله رب العالمين ، ، ،

الصواب للأخطاء المطبعية في كتاب الرّد (القرآني)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	١٠	والذكرين الله	والذاكرين الله
٧	١٠	تفطنتهم	بفطنتهم
٧	١٥	عما	على
٧	١٥	منه أباطيل	فيه أباطيلهم
٩	٩	ذكرت	تذكرت
١٤	١٧	وائما	وإنها
١٧	١	عنوان	العنوان
٢٢	٤	متعصبة الخوارج	متعصبي الخوارج
٤٨	٤	العام	العالم
٦٧	١	إن الله درها من قتيل	إن لله درها من قتيل
٧١	٣	ع	عن
٧١	١١	الاقال له	قال له
٨٩	٢٣	تسويىء	تسوىء
٩٥	٩	في يوما ما	في يوم ما
٩٥	٩	ولحد الآن	وإلي الآن
١٢١	٩	عطت	أعطت

فهرس الموضوعات


شركة مكة للطباعة والنشر
MECCA PRINTING & PUBLISHING CO.